روايات عبير

بقايا دموع

WWW.REWITY.COM

مرمورية

Elvire CAMPBELL

N° 642

روايات عبير

تجمع الأقدار بين "دين ماكنزي" الذي ماتت زوجته في حادث سيارة تاركة له طفلين ولم يكن سهلاً عليه أن يتقبل موتها والظروف الجديدة التي تحتم عليه أن يكون أباً عازباً لولدين . و"إليزابيث" التي طلقت بعد زواجها بستة أشهر بعد أن هجرها زوجها من أجل فتاة أخرى أكثر جاذبية وبعد أن أنجبت منه طفلها "آرون" .

هل يستطيع الاثنان التغلب على أحزان الماضي وآثاره البغيضة ؟

هل يمكن أن يخبئ لهما القدر السعادة التي افتقداها من قبل؟

يمكنك التعرف على هذا . عزيزي القارئ وعزيزتي القارئة، عند متابعة هذه الرواية الشائقة.

ISBN 9953-443-54-8

9 789953 443546

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٥ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٣ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

(١)

حملقت "إليزابيث" متشككة . كان هناك كلب ذو هيئة بائسة وتصرفات مريبة يتصدر حديقة رائعة الجمال، مزروعة بأزهار إبرة الراعي، تلك الزهور التي كانت مفخرة هذا الطرف من حديقتها . جالت بنظرها في الأنحاء على أمل أن تلمح علامة تدل على مالك هذا الحيوان . لكن لا أحد، بعد لحظة من التردد ، تقدمت بخطوة حائرة نحو المتطفل محركة ذراعيها وبلهجة آمرة قالت :

اذهب من هنا ! عد من حيث أتيت.

وكانت إجابته ، بتحريك ذيله حاصداً في الممر زهرة كاملة ، خنقت "إليزابيث" شتيمة ، ووضعت على الأرض مرشها ومغرفتها وجلست مواجهة الكلب جلوس القرفصاء وقالت بصوت عذب:

– هيا ، تعال إلى هنا ، وقل لي صباح الخير.

استدار الكلب وشرع يمضغ بنزاهة زهرة إبرة الراعي الضخمة ذات البتلة المستقلة ، هذه الكتلة النباتية كانت على أهبة أن تختزل أسابيع من العمل ! شرعت "إليزابيث" ، وهي مفعمة بالغضب ، تمشي نحو الحيوان ورفعته عن الأرض دون حنان وزمجرت قائلة:

– توقف أيها الوغد الصغير !

ودون أن يتوقف الكلب عن المضغ ، رفع عينيه البنيتين

وكبت حازوقة مرضية . يا للفظاظة ! بدأت "إليزابيث" بالدوران حول الحديقة وهي تحاول أن تجنب قميصها آثار المقتحم الجديد الملوثة بالطين - في طريقها صادفت "آرون" - ابنها ذا الأعوام السبعة.

– آه ، ماما ! أين وجدت هذا الكلب؟

– أجابت وهي تبتسم.

– في الحديقة ، كان يلتهم أزهاري.

– هل سنحتفظ به؟

– لا.

– رفع إليها نظرة متوسلة.

– أمي...

– آسفة ، "آرون" هذا مستحيل فنحن نملك قطة، وأنت تعلم جيداً أن الكلاب لا تتفق مع القطط ، فضلاً عن ذلك أنا متأكدة من وجود سيده في مكان ما. لم تستطع أن تمنع نفسها من هز رأسها وهي تمعن النظر في الحيوان ، فمنظره كان أقرب لأن يكون كلباً شارداً من أن يكون أي شيء آخر.

سيكون خبيثاً فعلاً من يستطيع أن يؤكد تلك المورثات التي أنتجت هذا الحيوان. وعلى الرغم من قذارته فإنه يبدو في صحة جيدة.

– ألن تساعدني في العثور علي سيده؟

– وإذا لم يطالب به أحد . أنستطيع الاحتفاظ به؟

– لا.

تبع "آرون" أمه مطاطئ الرأس حتى مدخل المنزل ، لكنه تفادى الاصطدام بها عندما خرجا إلى الساحة الصغيرة التي تؤدي إلى الشارع . كانت "إليزابيث" تقع عند وقوفها المفاجئ لدى مشاهدتها لشاحنة كبيرة تنقل أثاثاً ، واقفة أمام الفيلا الضخمة المجاورة.

هذه "الفيلا" - ذات الطراز "الفيكتوري" - كانت خالية منذ موت صاحبها ، أي منذ حوالي سنتين. كان يأتي إليها بعضهم لزيارتها . ولم يكن أحد يعتزم شراءها . إنها ليست فقط "الفيلا" الأكثر ضخامة والأكثر أناقة لكنها أيضاً الأعلى ثمناً . تذكرت "إليزابيث" أنها قد سمعت منذ شهر تقريباً أن مهندساً معمارياً وعائلته قد اقتنوا هذه "الفيلا" وما كانت "إليزابيث" لتتأخر في التعرف إليهم.

دون أن تترك كتلة الشعر التي تتحرك بشدة بين يديها ، مشت باتجاه الشاحنة حيث كانت مجموعة من الرجال تقوم بإفراغها من أكياس بمختلف القياسات . اثنان منهما كانا يتقلدان بقرطين ويربطان شعرهما إلى الخلف ، فقررت أن تتجه نحو الثالث وكان مرتدياً بنطلونا من الجينز وقميصاً . كان يبدو أنه السيد . عند رؤيتها قادمة ، ترك الكرتونة على الأرض ، مرر يده في شعره الأحمر المجعد والكثيف واستقبلها بابتسامة مشرقة. عندما رأت "إليزابيث" الشعار الخلاعي المرسوم على قميصه أحمر وجهها كنبتة البيفونيا.

كان "دين ماكنزي" قد أنهى لتوه خطبة لصبيته يذكرهم

فيها بمسؤوليتهم في هذا اليوم بالانتقال ، وكان قد كلف "كيفن" و"كيلي" بمراقبة كلبهم "روفو" و "روفو" كان قد اختفى . كان يتساءل ، وهو يجتاز بوابة الفيلا إذا كان عليه أن يستمر في مساعدة أخيه الأصغر "شين" وصديقيه في إفراغ الشاحنة أو أن يبدأ في البحث عن الكلب . في ذلك الوقت لاحظ الفتاة الشابة التي كانت تتجه نحو "شين" . كانت تحمل بين ذراعيها "روفو" وقد تبعها طفل صغير ذو شعر أسود .

بينما كان "شين" واقفاً مكتوف اليدين ، رآها تقترب وقد رسمت على شفتيها ابتسامة جذابة . شرد "دين" بضيق في الشعار المثير الذي كان يزين قميص أخيه الأصغر . وكان قد طلب منه في الصباح أن يغيره ، لكن "شين" أجابه أنه بطلبه يعتبر حتماً من الطراز القديم .

عاينت "إليزابيث" بطرف عينها القادم الجديد الذي لاح من المنزل وارتأت أن تتجه نحوه ، كان القادم ضخماً ويبدو أكبر سناً من الثلاثة الباقين . إنه دون شك في الخامسة والثلاثين ، كان شعره بنياً يميل إلى الأحمر ويلمع تحت أشعة الشمس وعيناه الخضراوان يتراقص فيهما بريق محبب . لم يكن يرتدي قرطاً كما لم يكن يربط شعره ، مما أكد لـ "إليزابيث" أنه المسؤول عن العمال . صدرت عنه ابتسامة اعتذار . قالت المرأة الشابة مبتسمة بدورها :

– عفواً ، لقد وجدت لتوي هذا الكلب في حديقتي ، فهل

يمكنك أن تقول لي من يخص هذا الكلب؟

تأمل "دين" للحظة المجهولة التي كانت قادمة نحوه ، لقد كان وجهها بيضوياً ذا بشرة وردية وتقريباً بعينين كبيرتين بنيتين كعيون المها . وكان شعرها قد ضفر إلى الخلف وتجاوز خصرها النحيل . كانت ترتدي قميصاً زاهياً وبنطلوناً ضيقاً من الجينز وتنتعل خفاً أبيض اللون . وكما في الريف ، تتمتع بجمال طبيعي قوامه التوازن والهواء النقي . وقد أجاب الشاب أخيراً دون أن ينجح في إخفاء بريق الإعجاب البادي في نظرته .

– نعم سيدتي . إنه يسكن هنا .

– ومد ذراعيه لأخذ "روفو" .

بعد تخليص "إليزابيث" من حملها ، لاحظ "دين" أن "روفو" قد ترك آثار أقدامه على قميصها الخفيف الأصفر الشاحب . عندما رفع عينيه تلاقت نظرته بنظراتها الممزوجة بالارتياب والغضب .

بالفعل ، كانت "إليزابيث" قد صدمت من الاستقبال الذي لاقته وغير سعيدة من وضع الغمزات الموحية من أحدهم نحو ذاك القميص . هاهم الآن يستعيدون الحيوان الذي كان قد خرب الحديقة ولطخ ثوبها دون أي كلمة شرح أو اعتذار أو حتى كلمة شكر .

قالت إلى اللقاء وهي تعود أدراجها .

أظهر "آرون" استياءه من اتباعها ثم استدار نحو "دين" وقال

بلهجة مترددة:

– كان على وشك أن ياكل زهور أمي.

– هل فعل هذا ؟

كان "دين" يجبر نفسه أن تبدو لهجة المفاجأة في صوته ، لكنه أخفق ويبدو أنه منذ زمن طويل لم يعد يفاجأ بما قد يفعله "روفو".

– آرون !

– أنا آت أمي.

تبع "دين" الأم وطفلها اللذين كانا يبتعدان باتجاه السرداب الأبيض المفروش بالقرميد الأحمر والمحاط بأرضية من الأزهار المتعددة الألوان . لكن نظره تعلق من جديد بالقوام الرشيق للشابة المجهولة . كانت قد وضعت قفازيها المخصصين بالحديقة في الجيب الخلفي للبنطلون الجينز الضيق.

– قفازان جميلان ، أليس كذلك؟

– اصمت "شين".

– قال "دين" هذا بنزق شديد وهو يرشق أخاه بنظرة . احتج "شين" وقال بهيئة بريئة.

– وهل قلت شيئا؟

– أعلم تماما ما أقول . أنا لست متاكدا من أن زوجها سوف يقدر لك ملاحظتك تلك.

– هي ليست متزوجة.

– استدار نحوه بذهول.

– وما أدراك ؟

– لا يوجد خاتم زواج .

– وماذا يثبت ذلك؟ ـ واندفع في الضحك بشيء من الحبور ـ يكون زوجها قد شاهدك من خلف الزجاج وسمع ملاحظاتك تلك عن قفازات زوجته . أنا متاكد أنه يركض ليبحث عن بندقيته في مكانها ! في الريف لا نمزح بهذه الأشياء !

ظهرت ابتسامة على شفتي "شين".

– أعتقد أنك فعلت الصواب عندما قررت السكن هنا . في البداية ، كان لدي بعض الشكوك ، لكنني الآن أجد أن هذا المكان يبشر بالخير ، فتاة كهذه لو كانت متزوجة للبست خاتماً . قال هذا وهو يرفع علبة كرتون.

أبعد "دين" فم "روفو" الذي كان يلعق أذنه بتان وأدار رأسه نحو السرداب الصغير حيث اختفت عبره المجهولة مع ولدها . كيف يستطيع "شين" أن يكون صريحاً هكذا؟ إن أخاه الأصغر يعتبر العربيد في العائلة . فخلال دراسته كان قد اكتسب كفاءة عالية في فن الإيقاع بالفتيات . وما أن حصل على شهادة الهندسة ، حتى أمضى سنتين في (القبعات الزرق) وهي قوات عسكرية تابعة للأمم المتحدة في بلد بعيد لدرجة أنه غير موجود على الخريطة، عاد من هناك بلحية وسمرة واضحة مع ابتسامة ساخرة دائمة على شفتيه.

عاد "دين" إلى الفيلا مع "روفو" وهو يهز رأسه ، ما كان

يريد أن يقدم نفسه ، فهو لا يعرف اسم تلك المخلوقة الفاتنة التي دخلت فجأة بيته. غضب من تعرفه ذاك . عاد أدراجه فقرع الباب ودعا صبيته ليعهد إليهم بالكلب.

كانت "إليزابيث" قد استعادت هدوءها حين وصلت إلى مطبخها . وقد زال غضبها إلا أنها مازالت مشدودة الأعصاب قليلاً . ألم يكن إعجاباً ذاك الذي قرأته في عيني الشاب الجميل الذي أخذ منها الكلب؟ بالرغم من انطباعها قد وجدت صعوبة في تصديق ذلك. فلم يكن أحد يظهر لها رغبته حتى زوجها.

فتحت خزانة جدارية وأخرجت قالباً من الحلوى ، لنكن صرحاء، لقد أرادت القالب لنفسها لا للغريب . عندما تلاقت نظراتهما كان قد حصل شيء ما في أعماقها.

أخرجت علبة بيض من الثلاجة ووضعتها قرب المجلى (الحوض) . ذكرى زوجها السابق جعلتها تقطب حاجبيها . كان عمرها واحداً وعشرين عاماً عندما اخترق "رون" حياتها وقد أقسمت حينها أنها ستكون له تماماً . بعد ستة أشهر من الزواج وجدت نفسها مطلقة وحاملاً وزائرة عند جديها . وكان "رون" قد هجرها لأجل فتاة أخرى أكثر إغراءً ، فتاة تعرف تماماً شؤون الحياة.

– ماذا تفعلين يا أمي؟ سألها "آرون" وهو يدخل إلى المطبخ.

نظرت إلى ولدها وعيناه تزخران بالفخر ، على الأقل زوجها السابق قد خصها حين ولادة "آرون" ، هذا الطفل الذي تحبه

أكثر من أي شئ آخر في العالم.

– إنني أحضر قالباً من الحلوى لجيراننا الجدد.

– لماذا؟ هل هم جائعون؟

– لا ، لكن ما إن ينتهون ويرحل العمال ، حتى نذهب لنتعرف إليهم ونقدم لهم هذه الحلوى .

قال "آرون" وهو يظهر ابتسامة تنم عن شراهة.

– إذن ، سوف نأكل منه نحن أيضاً.

– لا ، آرون ، إنه لهم ، إنه هدية ترحيب . لكن اطمئن- أضافت وهي ترى خيبة أمل صغيرها ـ أنا لم أنسك. في أي يوم عن اليوم.

فكر "آرون" ثم أضاء وجهه.

– السبت ! سنذهب إلى محل "البيتزا" .

ابتسمت "إليزابيث" وبدأت تخفق البيض ، كانت قد عقدت اتفاقاً مع ولدها ، إذا كان عاقلاً ومطيعاً خلال الأسبوع فله الحق في الخروج يوم السبت والعشاء في محل "البيتزا" الذي كان قد افتتح في القرية العام الماضي . يبدو أن "آرون" كان دائماً الطفل المثالي. إذن الخروج مساء السبت تحول إلى طقس لا رجعة فيه.

بينما كانت تحضر الحلوى ، جلس "آرون" إلى طاولة المطبخ ليرسم. العام الدراسي كان قد انتهى الأسبوع الماضي . حين استلمت دفتر علاماته ، لاحظت وبفخر أن ابنها كان ترتيبه الأول في الصف . وعلى سبيل المكافأة كان قد اختار كتابين عن

"الديناصور" بالرغم من محاولتها إقناعه باختيار كتاب للسباحة أو مضرب لكرة الطاولة .

ربما كان غياب العنصر الذكري عن المنزل هو الذي يجعله جدياً هكذا؟ "فآرون" لم ير أباه أبداً . وجده توفي حين كان في الثامنة من عمره ، بعد أن وضعت الأم الحلوى في الفرن اقتربت من ولدها .

– ماذا ترسم؟

– أرسم الكلب الذي رأيناه الآن .

ضحكت وقالت :

– عليك أن ترسمه وهو يأكل أزهاري!

– أمازلت غاضبة ؟

– لا ، أعتقد أن جيراننا لم يعرفوا كيف يهتمون به . مع أصحابه يجب أن يبدو عاقلاً أكثر من ذلك . ساصعد لأغير ملابسي - عزيزي هل تريد أن تأتي معي لتسليمهم الحلوى عندما تنضج؟

– حسناً ، إذا تركتني أحمل بعض الباقات .

– بالطبع أولسنا شريكين؟

بعد غداء سريع ، انطلقت "إليزابيث" و "آرون" في السيارة مجتازين القرية لتسليم الحلوى لزبائنها ، زلابية وأنواع أخرى من الحلوى التي كان الزبائن قد أوصوا عليها . عند عودتهما وبعد أن ركنت السيارة أمام البيت . التفتت نحو صغيرها تقول له بفرح :

– الآن أستطيع أن أشتري لك خفاً جديداً .

– انتهى . أصبحنا أغنياء؟

– ليس بعد .. لكن سأقول لك سراً . للمرة الأولى نحن لسنا في الأحمر .

– أي أحمر؟

– أي نحن لسنا بحاجة للاستدانة كي نسدد ديوننا ، فمن الجائز أيضاً أني سأنجح في تحويل دراستك بعد كل شيء .

– أعليَّ أن أدرس كثيراً لأصبح طبيباً؟

– وكيف إذن ؟ أنت لم تبدأ بعد .

عاد الماضي فجأة إلى ذاكرتها . لقد مات والداها خلال سنتها الأولى في الثانوية وقد استضافها جداها للمرة الأولى وللمرة الثانية بعد زواجها الفاشل . كانت قد عملت خمسة أشهر كنادلة في مطعم محلي ، وعند ولادة "آرون" كان عليها أن تستقيل لتتفرغ للاعتناء به ، فقد كانت جدتها عجوزاً لا تستطيع الاعتناء به . وعندما بلغ الشهر صرح جار لها عن طريق الدعابة بأن حلوى الشوكولاتة التي تصنعها جدتها لذيذة جداً وأنها كفيلة بأن تصنع لها ثروة إن فكرت في التجارة بها . في هذه اللحظة ولدت فكرة (إلى ملذات ليز) . بدأت بصنع قوالب الشوكولاتة لكن نشاطها امتد ليصل إلى صنع الزلابية وكل أنواع الحلويات التي لاقت نجاحاً شديداً لدى الباعة المحليين . تضاعف عملها خلال العطلات وأمسيات العطلات الأسبوعية ، حيث كانت تمضي ليالي بأكملها أمام

الفرن . إضافة إلى أنها كانت تعمل في المنزل وتستطيع الاعتناء بولدها.

عند خروجها من السيارة لاحظت أن شاحنة النقل الموجودة أمام الفيلا قد اختفت تاركة مكانها سيارة تخييم تلمع . كانت الحديقة المجاورة مزدحمة بالدراجات وألواح الانزلاق وألعاب من مختلف الأنواع فوضعت الفتاة يدها فوق كتف "آرون" وقالت بابتسام :

– أترى ما أرى يا "آرون" ؟

– ماذا؟

– هذه الألعاب تعني أن جيراننا الجدد لديهم أطفال.

لقد ابتهجت لأن "آرون" لم يكن لديه عملياً أي صديق في المنطقة فمن المحتمل أن القادمين الجدد إذا كان لديهم طفل في نفس عمره قد يسمحون له أن يكون رفيق "آرون" في اللعب وعندها سيصبح أقل وحدة وسيستفيد أكثر.

بعد ساعة ، صعدت مع ولدها رواق الفيلا الضخمة وهي تحمل قالباً من الشوكولاتة . "آرون" كان يبدو ممتعضاً ، فابتسمت أمه له ، وفجأة سمعا صراخاً شديداً ويبدو أنه صادر من نوافذ الطابق الأول ، فسرعان ما ذبلت الابتسامة على شفتي "إليزابيث" ورفعت كتفيها ، حركت من جديد المطرقة الثقيلة التي أصدرت صوتاً عالياً قوياً . وبدا أن صوتاً رجولياً بدأ يعلو ويطغى على جميع الأصوات صادراً من الطابق الأول . فعلى ما يبدو أن المالك لم يكن في مزاج جيد . تنهدت "إليزابيث"

وطرقت بقوة أكبر من المرة الماضية .

كان هناك نباح متواصل وصراخ حاد وسلسلة من الشتائم . ألقت المرأة الشابة نظرة تردد على ولدها وظنت أن الوقت ليس مناسباً تماماً للترحيب بالجيران الجدد. كانت تهم بنصف استدارة عندما سمعت ضحكة طفولية مما جعلها تقرر أن الوضع دون شك ليس سيئاً إلى تلك الدرجة التي تصورتها ودقت المطرقة بحزم ، هذه المرة من المستحيل ألا يكون سكان الفيلا قد سمعوا.

بعد لحظة جاء يفتح الباب صبي أصهب الشعر ذو وجه منقش بالنمش ، وقميصه كان مبللاً من رأسه حتى قدميه ، أما وجهه فكان ملطخاً من مادة بيضاء تشكل الرغوة لأجل الحلاقة فبادرهما قائلاً :

– مرحباً .

ابتسمت "إليزابيث" ، يبدو أن الصبي في عمر "آرون" .

– مرحباً ، هل أبوك وأمك هنا ؟ أنا "إليزابيث لانكاستر" وهذا ولدي "آرون" . نحن جاراكم وقد أحببنا أن نقدم إليكم هدية ترحيب. ألقى الطفل نظرة إعجاب على حلوى الشوكولاتة الضخمة التي كانت تحملها.

– ادخلا ، سأنادي والدي.

ولجت "إليزابيث" إلى المعبر وحاولت ألا تصطدم بأحد الأكياس التي تملأ الأرض في الطابق الأعلى الضجة كانت مستمرة بشكل أجمل ، الثريا الضخمة المتدلية من السقف في

الصالون كانت تهتز بفعل الخطى الهائجة . ألقت نظرة قلقة على الدعائم القديمة التي كانت تسند الألواح في الطابق الأول . الصغير الذي كان قد فتح لهما الباب تقدم نحو أسفل الدرج وصاح بقوة لأبيه لدرجة أن "إليزابيث" كانت على وشك أن توقع الحلوى، فجأة وقع النباح المستمر، تدحرج شيء يشبه كرة بيضاء من أعلى الدرج ليستقر في حضن المرأة . صاح صوت رجولي من الطابق:

– روفو!

سلسلة من الخطوات ترجّع صداها على بيت الدرج.

أخفضت "إليزابيث" نظرها على ذلك المخلوق الذي رفض أن ينزل من حجرها ، ومن تحت تلك الطبقة من الرغوة البيضاء التي تستعمل للحلاقة والتي كانت تغطيه بالكامل عرفت الكلب الذي كان قد التهم طرف حديقتها منذ ساعات . لكن خيالاً ضخماً بدا عند قمة الدرج جعلها ترفع رأسها ، تزحلق الرجل بفعل رغوة الحلاقة وكاد يقع لكنه استدرك وأمسك بالدرابزين وهو يطلق الشتائم . تعرفت بدهشة إلى المجهول الذي كان قد أخذ منها الكلب صباحاً ، إذ كان يرتدي الملابس نفسها أطلق الطفل الذي كان قد فتح لهما ضحكة حادة عندما رآه يتزحلق.

من البديهي ، قد تكون لها صلة بعائلة من المجانين . عندما استعاد الرجل توازنه نزل وتقدم نحوها ماسحاً بظهر ذراعه خطوط كريم الحلاقة الذي كان قد شطب به فكه السفلي .

كانت معالم الدهشة بادية بوضوح على وجه المرأة الشابة التي أدركت لتوها أن ذاك الذي اعتقدته شاباً لنقل الأثاث ليس إلا جارها الجديد . توجهت عيناها الذهبيتان نحو الحلوى ثم نحو الكلب الذي جعلها تزم قدميها ومن ثم نحو سيد المكان واستقرتا أخيراً علي "آرون" الذي كان يشع وجهه بابتسامة عريضة . ابتسمت بدورها أيضاً ، هزت كتفيها وأعطت الحلوى لمضيفها وقالت بسرور: أهلاً بك في المنطقة.

(٢)

لاحظ "دين" وعلى الرغم من ارتباكه أن الفتاة الشابة مع طفلها من جديد. هل كان رأي أخيه صحيحاً ؟ حاول جهده كي يستعيد أفكاره من جديد . أخذ الحلوى بيديه وحدجه بابتسامة حارة .

– شكراً . أنا آسف أنني لم أقدم لك نفسي هذا الصباح . لكن كل شيء جرى سريعاً ...

استدار ووضع الحلوى على ظهر التليفزيون القريب منه.

– أنا أدعى "دين ماكنزي" قد تعرفت مسبقاً إلى ابني "كيلي" .

سمعت ضجة خطوات على السلم . أشار "دين" بذقنه إلى الولد الثاني الذي كان ينزل بخطى واسعة.

– وها هو "كيفن" ، ولدي الأكبر.

قد ورث الولدان لون الشعر الأحمر عن والديهما ، لكن لون عيونهما كانت تميل لونها إلى الرمادي أكثر منه الأخضر ، إضافة إلى أن وجهيهما كانا مغطيين بالنمش.

من الواضح أن "دين ماكنزي" كان فخوراً بذريته . شردت "إليزابيث" وابتسمت ثم أردفت:

– أين الآخرون ؟

– أي آخرين؟

– أنت ... ليس لديك إلا طفلان؟

– نعم ... ويخيل إلي أن اثنين .... كثير .

كانت "إليزابيث" مندهشة لنوعية الألعاب التي تترامى في الخارج، لقد تخيلت أنها ستكون علاقة مع عائلة لديها على الأقل خمسة أو ستة أطفال.

– أدعى "إليزابيث لانكاستر" وهاهو ابني "آرون" . نسكن إلى جانبكم تماماً . إذا احتجت لشيء أنت أو السيدة "ماكنزي" لا تترددا في المجيء إلي .

– ليس هناك سيدة "ماكنزي" .

– آه ... أنا آسفة . أتمنى أن تحب هذه الحلوى .

– متأكد من ذلك .أليس كذلك أيها الصبيان ؟

تأمل "كيفين" هذه الحلوى وكأنه لم يأكل منذ ثلاثة أيام فيما أنه لا أم لديهما ، لم يتعودا على حلويات المنزل . أرادت أن تستأذن بالانصراف لكن "روفو" بقي متشبثاً بخفيها فقال "دين" .

– اعذريني بشأن الكلب ، الولدان كانا علي وشك أن يقوما بغسيله .

كان الحيوان مغطى بالرغوة كما لو أن محاولة غسيله كانت عن طريق الرغوة الزائلة. التقت نظرة "دين" بنظرة المرأة الشابة وأدرك أنها تنظر إليه كما لو أنه مجنون ، كان هذا اليوم صعباً فلا شيء يجري حسب مخططاته.

بعد ذهاب أخيه ورفاقه كان قد كلف ولديه بغسيل "روفو" الذي كان يقطر وحلاً . عادة "روفو" كان شديد الولع

بالاستحمام ، لكن هذه المرة وبينما كان الولدان يملآن حوض الاستحمام ، انقلبت الأشياء سريعاً ـ بداية لم يجدا الصابون فاستعملا حينها معجون الحلاقة ، وبينما كانا يطليانه بذاك المعجون كان الحوض قد بدأ بالفيضان . نبه صراخهما "دين" والذي – بكونه معمارياً – قد أدرك فوراً الكوارث الناتجة عن فيضان في الطابق العلوي من الفيلا القديمة . عندها ألقى فوراً على بلاط الحمام كل المناشف التي كان قد عثر عليها ليجفف البركة التي قد تكونت. عندما أنهي ذلك كان "روفو" قد اختفى فبدأت فوراً عملية بحث من قبل الأب وأولاده في الأروقة والحقول المفروشة بالكرتون والحقائب نصف المفتوحة ، أما البقية فالشابة تعرفها.

– عندما لم يجدا غسول الشعر الخاص بـ "روفو" لم يتخيلا أن رغوة الحلاقة قد تسبب مشكلة. تابع بخجل ـ تكون لدي الآن انطباع أن "روفو" لم تعد لديه رغبة في العودة إلى الحمام رفعت "إليزابيث" حاجبيها وانحنت لتمسك بالمخلوق المبلل والمثير للشفقة لتسلمه لـ "دين" فاحمر الأخير . أما الصبية الثلاثة فقد بدأوا بالضحك لهذا التناغم بينهما.

أخذ الكلب من يدي المرأة التي سحبت يديها بجانبي بنطلونها الجينز . قال "كيلي" هيه بابا ، هل يستطيع "آرون" البقاء ليلعب معنا؟

فأجابت "إليزابيث" وهي تبتسم .

– ليس هذا المساء "كيلي" . لكن ما رأيك أن تأتي عندنا

غداً أنت وأخوك؟

– هل نستطيع أبي؟

– نعم بشرط أن تكونا عاقلين.

قالت "إليزابيث" وهي تتجه نحو الباب:

– اتفاق مبرم إذن إلى اللقاء ... إذا احتجتم إلى أي شيء لا تترددوا . وهي تقصد "دين" بكلامها. رآها "دين" تبتعد بخطى رشيقة وقد جف حلقه . كان يتحرق شوقاً لمعرفة إذا كان هناك سيد "لانكاستر" أو لا . لكنه لم يتجرأ ويسألها.

– هيه ، بابا ، هل يمكن أن نبدأ بالحلوى؟

– لا . أولاً – علينا غسيل "روفو" وتحسين منظره ثم ساقدم لكم "بيتزا" .

كانت "إليزابيث" تصغي وعيناها غارقتان في لوحة الطعام ، إلى ولدها وهو يرسم المشاريع ليوم غد مع صديقيه ، لم يسبق لها ورأته منفعلاً هكذا ولا حتى في أمسية عيد الميلاد . فجأة سمعت صوتاً طفولياً ينادي اسم "آرون" في الطرف الآخر للصالة أدارت رأسها مندهشة لترى "دين" وولديه اللذين قد دخلا — لتوهما عتبة المطعم . أشرق وجه "آرون" فأشار لهما بذراعيه لكي يدعوهما للانضمام إليهما... وهذا ما تم في اللحظة التالية.

استولت على "دين" نغمة حنان عند دخوله المكان ، كانت الصالة الصغيرة المؤثثة بمقاعد من الفينيل الأحمر والتي تحيط بطاولات ريفية مغطاة بالأحمر والأبيض . مزدحمة . كان الجو

يعبق بالرائحة الذكية للنقانق المشوية والبندورة والبصل ، عند الزاوية كانت تئز آلة الموسيقى وعلى كل طاولة ـ كانت غاصة بالرواد الصاخبين ـ كانت هناك زهرية مزينة بوردة من البلاستيك ظن لوهلة أنه عاد إلى أمسيات الطفولة الهادئة وقد أسعده هذا الإحساس . يا للفرق مع تلك المطاعم في المدن الكبيرة.

لقد حاول عبثاً إخفاء ابتسامته عند رؤيته جارته الفاتنة وولدها . ليس هناك ما يثبت وجود السيد "لانكاستر" حتى إن احتمالات وجود هذا السيد تتضاءل باستمرار. قال عند انضمامه لهما:

– مساء الخير ، يا للصدفة .

أجابت مبتسمة.

– فعلاً . (عند ماريو) هو المكان الوحيد عملياً الذي يفتح يوم السبت مساءً . لذلك فهو مزدحم دائما.

– وهل الطعام جيد بقدر ما تنم عنه رائحته؟

– ردت بضحكة صغيرة .

– بل أفضل . أنصحك بالسباكيتي أو اللازانيا . أما البيتزا فهي رائعة.

– تباً . الاختيار لن يكون سهلاً.

– هل نستطيع البقاء مع "آرون" بابا؟

– أخذت "إليزابيث" بعين الاعتبار ملامح السرور البادية على وجه ولدها وأومأت برأسها فاقترحت عندئذ.

– انضموا إلينا فإني لا أجد طاولة شاغرة ، بالإضافة إلى أننا

لم نطلب وجبتنا بعد .

– لا بأس إذا كنتم متأكدين من أن هذا لن يزعجكما . وقد انتابته لحظة قلق من دخول مفاجئ للسيد "لانكاستر" في أي لحظة.

عندما أحس بموافقتها دون أن تعبر عن ذلك بصراحة ، أخذ كرسياً وجلس بجانبها في حين أن ولديه اندسا إلى جانب "آرون" ، وعندما أحست بحضوره الرجولي بجانبها أحست برعشة ، لقد كان يفوح من وجهه المتطاول وشعره القصير حس رجولي أكيد .

كان بنطلونه الجينز الفاتح يضيق على جانبيه وقد بدت عضلات الساقين مشدودة ، قميصه الرياضي الأخضر ذو الكمين الطويلين . كان يبدو أنه قد جعل خصيصاً ليظهر بريق عينيه الخضراوين الضاحكتين . أما حديثه فكان رخيماً.

– ها . "إليزابيث" و "آرون" هل كان من الممكن أن يتوقع أن لديكما صحبة هذا المساء؟

– رفعت الشابة رأسها وابتسمت لـ "روزا" زوجة "ماريو" مالكة المكان.

– "روزا" ، دعيني أقدم لك جيراني الجدد ، "دين ماكنزي" وولديه "كيفن" و "كيلي" انتقلوا اليوم إلى فيلا الدكتور "سنيدر" .

– أهلاً بكم إنه منزل واسع وفخم ، ستملؤه بهذين الطفلين؟ أين أمهما؟ لم تتركوها وحيدة أليس كذلك ؟ آه ...

فهمت هذان الجميلان لا أم لديهما . عليك أن تنجب كماً كبيرا من الأطفال غير هذين حتى تملأ المنزل ، لكن قبل كل شئ عليك أن تعثر على امرأة . حسناً سأحضر لكم إبريق ماء ولائحة الطعام. أخذت نفساً طويلاً ثم أردفت قائلة ، لا امرأة لديك ، للأسف لكن لا تقلق تعال دائماً إلي (عند ماريو) وسنعتني بك وبأطفالك . إنهما نحيلان قليلاً لكن هذا لن يدوم طويلاً ، فهنا سرعان ما يشتد عوداهما.

– عند هذه الكلمات استدارت نصف دورة وانصرفت . انفجرت "إليزابيث" ضاحكة عندما رأت ذهول "دين" فقال باندهاش:

– لم تترك لي مجالاً لأقول كلمة .

– آسفة "دين" إنها هكذا ، هي أم لكل الناس تقريباً ، أم تتجاوز حدودها إذا صح التعبير.

– فهمت . لماذا قالت أن ولدي نحيلان ؟ أترينهما أنت نحيلان، حدقت "إليزابيت" إلى وجه "كيفين" وابتسمت تابع "دين" قائلاً :

– على العكس فهما يتمتعان بصحة جيدة ، فـ "كيلي" الذي في نفس عمر "آرون" أطول منه بخمسة سنتيمترات وأسمن بخمسة كيلو جرامات ، أليس الأجدر "آرون" كي يشتد عوده؟

– لا "دين" أبداً ، لكن "روزا" ترى دائماً الأشياء بأسلوب مختلف ، فالذي ليس بديناً تعتبره سيئ التغذية.

ركز انتباهه ـ مطمئن البال ـ على المرأة الشابة ، كانت مرتدية بنطلوناً أصفر وقميصاً رياضياً أحمر اللون بكمين قصيرين ، وشعرها مربوط إلى الخلف دوماً وكانت تضع مكياجاً خفيفاً أما عيناها الخضراوان الكبيرتان فكانتا تلمعان ذكاءً وقلقاً . كانت تتمتع بأنف أشم يتوسط خديها العاليين وشفتين مكتنزتين تنفرجان عن صفين من الأسنان اللامعة . تنفس الصعداء ليجد الشجاعة كي يسألها السؤال الذي يؤرقه منذ الصباح:

– أين السيد "لانكاستر"؟

– رحل منذ زمن طويل.

– اجتهد في إخفاء شعور بالارتياح.

– منذ متي؟

– منذ ثماني سنوات تقريباً.

استسلم لحساب ذهني وهو ينظر إلى "آرون" ثم أطلق شتيمة. فكرت أنه من الأفضل تغيير الموضوع فقالت وهي تشير إلى الخادم :

– ها هو إبريق الماء.

فهم مقصدها ، فحول الحديث حول اختيار الوجبات . طلب الأطفال "البيتزا" ، وطلبت "إليزابيث" لازانيا أما "دين" فقد طلب "اسكالوب بالفطر" . خلال العشاء كان الرفاق الثلاثة يخططون ماذا سيفعلون في اليوم التالي . اقترح "كيفن" على "آرون" أن يعيره لوح التزلج، و"كيلي" كان يفضل لعبة الجنود الصغار أما "آرون" فحاول عبثاً اقتراح جلسة قراءة ورسم.

أدركت "إليزابيث" فوراً كم أن ابنها جدي بالنسبة لطفل في السابعة ، لقد مضى على انتهاء المدرسة أسبوع كامل وهو لا يزال يفكر في القراءة . لماذا لا يرغب في الصيد أو في التخييم أو في اللعب بكرة القدم ككل الصبية في مثل سنه؟ ماذا ينقصه؟

لاحظ "دين" الهم المرتسم على وجه الشابة ، كان يميل إلى حسد الطفل على تصرفاته، عاقل ورزين وهادئ . أما ولداه فلديهما روح المغامرة ويخلقان حولهما كل أنواع المشاكل. إنهما يفتقدان دون شك الحنان المتفهم للأم . كان يعتبر نفسه أباً جيداً ولكن هذا غير كاف.

عندما عادت "إليزابيث" إلى بيتها ، أطفأت جهاز "التليفزيون" عندما ظهر! إعلان الموجز للنشرة الإخبارية التي لا تعرض غير العنف والموت والدمار والتهديد الوشيك لحركة خطيرة أو لحرب نووية . رأت وهي تقفل الباب الأنوار لا تزال مضاءة عند جارها الجديد إنه دون شك يفرغ الأكياس التي لا تحصى التي استلمها في الصباح . تثاءبت ، دخلت غرفتها واندست تحت أغطيتها.

ابتسمت في الظلام عندما تذكرت أن "دين" قد دعاها إلى تناول العشاء بحجة اعتذار عن الخسائر التي سببها "روفو" في حديقتها . لقد مضت ثماني سنين دون أن يدعوها رجل . بالنقود التي توفرت قررت أن تشتري قصبة صيد لـ "آرون" فطفل صغير مثله عليه أن يذهب للصيد مرة على الأقل في

حياته . قدوم جارها جعلها تدرك النقص في حياة ولدها . وعدت نفسها والابتسامة على شفتيها أن تفعل ما بوسعها لتصبح ... ؟أباً طيباً . دقائق قليلة وغرقت في نوم عميق.

نهضت "إليزابيث" من النوم ونظرت إلى المنبه ، إنها بالكاد الثانية والنصف ، لأي سبب انتزعت من نومها؟ أجالت نظرها في الغرفة ، كل شيء في مكانه "آرون" ؟ فقفزت من السرير، ارتدت رداءها البيتي وتركت الحجرة. عند مرورها من أمام نافذة الرواق لا حظت بقعة ضوء دائرية كانت تمر في حديقة جارها . لصوص؟ عند تمحيصها النظر ، استطاعت أن تتعرف على القامة الطويلة لـ "دين" الذي كان يحمل رزمة ويتجه نحو حبل غسيل قديم ممدود في الحديقة. هزت رأسها شاكة بالأمر.

وضع "دين" الرزمة على الأرض بعد أن ثبت الضوء تحت إبطه ، ثم نزع المنشفة التي نشرها على الحبل . انفجرت "إليزابيث" ضاحكة. كان على وشك أن ينشر غسيله الساعة الثانية والنصف صباحاً . زررت ثوبها ونزلت الدرج ومشت خارج السرداب عبر الباب الخلفي.

شعر "دين" بوجودها حتى قبل أن يلاحظ شبح القامة الذي كان يأتي لملاقاته في حديقته كان شعرها الأسود الطويل يتطاير على صدرها في تلك النسائم الليلية . عندما رآها تمد حقيبة ملأى بملاقط الغسيل . ابتسم للمرة الأولى منذ ساعات.

- شكراً .

- مدا معا على الضوء المضطرب عدداً من المناشف

والملاءات، توقف "دين" واستدار نحو المرأة الشابة.

– ألن تطرحي أي سؤال؟

– ألا تملك النية أن تشرح؟ قلبت الحمة على صاحبها جاهدة في أن تتمالك نفسها عن الضحك . تنهد.

– حسناً ، من أين تريدينني أن أبدأ القصة؟

– البداية تبدو لي مناسبة.

– أنت على علم بشأن حمام "روفو" ـ قال وهو يأخذ ملاءة كبيرة. لقد فرض علي وضع كل المناشف المتيسرة على بلاط الحمام لأتجنب طوفان المياه.

– قالت "إليزابيث" وهي تضع منشفة على الحبل.

– أرى ذلك ، حتى الآن أنا معك.

– ثم وعدت الفتيان أن أصطحبهما إلى المطعم لتناول "البيتزا" بعد أن نأخذ حماماً ونزيل الأوساخ ـ تابع وهو يعطي الضوء للشابة: للأسف بما أنه لم يكن هناك منشفة ناشفة ، فقد تنشفنا بالملاءات عند عودتنا من محل البيتزا . أول حركة ، كانت هو أن أسرع إلى مغسل الثياب لأضع أول وجبة غسيل في الغسالة . كان يتوجب عليّ أن أتابع عملية الغسيل باعتبار أن تلك الآلة لم تكن قد عملت منذ سنين ، لكن كل شيء كان مرتباً والصبيان كانا بحاجة إلي لأرتب لهما سريريهما .

– حك رقبته وهو يفكر ثم تابع.

– عندما كنت في الأعلى كان هناك تسرب ماء بسبب المفصل السيئ المهترئ تماماً . عندما نزلت ، كان القبو عائماً

تماماً . أصلحت التسرب وبدأت الآلة تعمل بشكل طبيعي ولكن عند الانتهاء من الغسيل الأول ، تحققت من أنه لا يوجد مجفف غسيل . باختصار قمت بغسيل ثلاث وجبات أخرى وهأنذا أنشر غسيلي في منتصف الليل.

– قهقهت "إليزابيث":

– كنت أنتظر شيئاً أكثر غرابة.

– فقال وهو يتناول آخر منشفة .

– أبدو أمامك كمعتوه تفاجئينني دائما بمواقف غير طبيعية.

– بالفعل ، وهي تعيد إليه الضوء ، لكن تبقى لك فرصة واحدة لتنقذ نفسك فأنا لم أكوّن بعد رأيي النهائي . طابت ليلتك.

– سلم عليها وقلبه ينبض بقوة.

– "إليزابيث"؟

– رفعت إليه نظرها مذهولة . انحنى وقبلها.

(٣)

استسلمت المرأة الشابة لقبلته.

فكر، ماذا يفعل ؟ لم يرد ذلك، كان يريد أن يشكرها لكن عواطفهما خرجت عن تحكمهما فتركها. فتحت "إليزابيث" عينيها. وجنتاها متوردتان سألت نفسها مذهولة كيف تركت نفسها تنساق بهذا الشكل. صوت داخلي كان يرجوها أن تركض إلى بيتها وتقفل الباب لكنها نجحت في السيطرة على اضطرابها.

– طابت ليلتك. تمتمت وهي تدور على عقبيها.

عاجزاً عن التصرف، نظر "دين" إلى قامتها البيضاء وهي تغوص في ظلمة الليل وهو يسأل نفسه إن كان في طريقه إلى الجنون. بعد نظرة أخيرة على الحديقة حيث تسكن جارته، عاد لبيته.

لم يتوصل إلى إغلاق عينيه في تلك الليلة، حوالي الساعة الثامنة نهض ليصنع القهوة. كان الولدان ما يزالان نائمين.

وقف أمام النافذة، فنجانه بيده. أمعن النظر في الطريق حيث سيسكن الآن فصاعداً. على الرصيف المقابل، خرج زوجان طاعنان في السن من بيتهما الصغير. إنه الأحد أما الرجل والمرأة فقد بدوا وكأنهما في عامهما الواحد والثلاثين. كان الرجل يرتدي بدلة زرقاء فاتحة خفيفة تجعله أصغر بعشرين عاماً. أما بالنسبة لزوجته فكانت مرتدية ثوباً من الساتان المخطط

بالأخضر والأصفر مع قبعة مناسبة. ابتسم "دين" لما بدا له ذلك كطقس لا يتغير بينما كانت المرأة تنتظر على الرصيف. اختفى زوجها في الجراج الذي كان بابه يفتح ببطء على عربة بعجلتين وحصان واحد، حمراء وبيضاء من زمن الخمسينات وتبدو ضيقة قليلاً. عندما عزم الزوجان على المغادرة، انطلقت العربة القديمة بضجة متتابعة على طول الطريق السهل. بعد عدة أمتار زجر العجوز وحرك يده باتجاه الرصيف. "إليزابيث" و "آرون" اللذان كانا ذاهبين إلى المدينة ردا عليهما التحية، كانت ترتدي تنورة واسعة منقوشة بأزهار وصدار مهذب اللون دون أكمام، تعرف وهو يبتسم على شعرها الطويل المعقوص إلى الخلف. كان "آرون" ببنطلونه الأسود وقميصه الأبيض صورة لمثال الصبي الصغير من الأجيال السابقة. أكيد أنهما ذاهبان إلى القداس. عندما اختفيا في زاوية العربة حاول "دين" أن يتذكر منذ متى لم تطأ قدماه هو وأولاده الكنيسة.

تمطى وحملته أفكاره إلى الليلة السابقة، إذ بعد رحيل "إليزابيث" دخل المطبخ ليفرغ الأكياس ثم تمدد على الكنبة على أمل خائب أن ينام قليلاً.

خلال زواجه، كان قد عاش مع "راشيل" في شقة فخمة تقع في حي في "فيلادلفيا"، كانا يتكلمان بلا انقطاع عن شراء منزل في الريف، لكن القدر المحتوم لم يسمح لهما بتحقيق حلمهما المشترك فبعد سنتين ماتت زوجته في حادثة سيارة تاركة له طفلين. أن يتقبل موت زوجته ويتقبل الظروف

الجديدة التي تحتم عليه أن يكون أباً عزباً ، لم يكن سهلاً . كان قد تزوج "راشيل" رفيقته في الجامعة، في السنة التي تلت حصولهما على الشهادة . كان في نيتهما أن يباشرا عملاً مهنياً، كان رباطهما ينمو بانسجام ، بعد أربع سنوات وعندما وجدت نفسها حاملاً بـ "كيفين" قبلت "راشيل" أن تعلق مهنتها حتى تربي طفلها أما "دين" فقد تابع عمله، بعد سنتين وضعت "راشيل" "كيلي"، عندها تراجع وضعهما شيئاً فشيئاً.

بينما كان "دين" يعمل من ١٢ ـ ١٤ ساعة في اليوم ، وجدت "راشيل" نفسها سجينة البيت لتربي طفليهما ، في ذاك الوقت كان "دين" عضواً في وكالة مشهورة لمهندس المركز.

أما مشروعهما في أن يستقرا في الريف فكان يتراجع باستمرار .قبل ثلاثة أيام من دخول "كيلي" إلى حضانة الأطفال ذهبت "راشيل" إلى وكالة للبحث عن عمل . على طريق العودة وقعت حادثة مروعة على الطريق السريع ، كانت نتيجتها ستة موتى وهي من بينهم.

وجد "دين" نفسه في عمل أخاذ مع طفلين ينظران إليه وكأنه غريب . كيف استطاع أن يبدو أنانياً هكذا؟ إلام آلت أحلامه العائلية؟ لقد أهمل كل شئ في سبيل مهنته بعد عدة أشهر من الجنازة ، ذهب تحت المطر إلى قبر "راشيل" ليلتمس منها العفو، عندها شعر أن سكينة غريبة استحوذت عليه، شعر أنه لم يفقد كل شيء فإنه منذ الغد سيبدأ حياة جديدة.

كان عملاً طويلاً ـ لكنه أدرك أنه سيصبح أباً حقيقياً لولديه ـ

وبعد سنة وجد منزل أحلامه وقرر الاستقرار في الريف ، حتى الآن لم يندم.

صورة "إليزابيث" عادت تلاحقه ، ما حصل البارحة ألا يضع مشاريعه في خطر؟ فجأة انطلقت أصوات من الطابق العلوي أخرجته من أحلامه.

– أعطني هذا !

– لا ، هذا لي أيها الأحمق.

– با... با ... !

– وضع "دين" فنجانه الفارغ على علبة . لقد فهم لماذا أقام جيرانه القدامى حفلة لدى رحيلهم من المبنى. لقد تمطى وصعد الدرج ببطء.

– بابا ، أخذ "كيفن" بنطلوني القصير.

– طبعاً ، فأبي رمى كل بناطيلي في المهملات.

– تنهد "دين"

– "كيفن" ... لماذا أفعل شيئاً كهذا؟

– لأنك تفضل "كيلي".

وقف "دين" عند عتبة الغرفة وتأمل مستودع الألعاب والبالونات من كل القياسات والزلاجات التي تتراكم على الأرض. فمنذ موت والدتهما كان قد تولد لديه شعور بالفراغ يهددهما عاطفياً . لكن شراء كل ما يطلبانه ألم يفسدهما بما فيه الكفاية؟ ألا يجب أن يتعلم قول لا؟

بعد أن أغلقت "إليزابيث" باب الفرن ، أبعدت خصلة شعر

كانت تنسدل دائما على جبينها . النسمة الرقيقة التي تجتاز المطبخ عبر النافذة المفتوحة كانت عاجزة عن أن تخفف الحرارة الصادرة عن الفرن الذي يعمل بانتظام منذ ساعتين . بالنسبة إليها فصل الصيف هو الفصل الأقسى لكنه الأكثر إيراداً أيضاً.

اتكأت على المكتب وأحضرت لنفسها كأس "ليمونادة" مثلجة وأغمضت عينيها . لقد وضعت قالبين من حلوى ليبردا والثالث كان يشوى، ستزينهما هذا المساء بعد العشاء ثم ستحضر عجنتين أو ثلاثاً من الفطائر . صوت طفلي "دين" وصلها عبر النافذة ، سيأتيان إلى حديقتها ليلعبا مع "آرون" كم هو متشوق لزيارتهما لدرجة أنه بالكاد تناول غداءه. جمدت ابتسامتها عندما تذكرت ما حصل الليلة الماضية . كيف ستتجرأ أن تواجه نظرة جارها من جديد؟ ماذا يمكن أن تقول له؟

رن الهاتف في اللحظة التي كان فيها "كيلي" يطرق الباب الخلفي ، بعجل.

– ادخل يا صغيري.

قالت ذلك قبل أن ترفع سماعة الهاتف الجداري.

– ألو؟

وهي تتكلم مع المتحدث شاهدت "دين" يتبع ولده ، أجال نظره في المطبخ ، مجموعة من القوالب في حوض الغسيل ، رائحة طيبة تملأ المكان . لا يوجد هناك أثر لفرن متطور (ميكروويف) ولا آلة جلي. لابد أنها طباخة من الطراز القديم . بعد أن سجلت توصية جديدة أغلقت المرأة الشابة الهاتف دون

أن تتجرأ على أن تلتقي نظرتها بنظرة "دين" . التفتت نحو "كيلي" و"كيفن" اللذين كانا يدخلان بدورهما.

– عليكما أن تبحثا عن "آرون" ، إنه في غرفته.

– ركضا فوراً نحو الدرج.

– اندفع صوت "دين" من وراء ظهرها.

– شكراً لك لأنك دعوتهما. ليس من الضروري أن تعتني بهما ، فأنا متأكد أنهم سيمرحون وحدهم . من المؤكد أن لديك أعمالاً كثيرة تقومين بها.

أخذت علبة صابون سائل وضعتها بعنف مبالغ . لم يستطع "دين" أن يمنع نفسه من الابتسام لدى ملاحظته الفقاعات الصادرة عن المجلي. لم تكن هادئة بالقدر الذي أرادت أن تظهره لـ "دين".

– هل هناك مانع من أن أتركهما لديك لحين عودتي من التسوق؟ فكل خزائني فارغة.

– بالطبع لا ، خلق الجيران لهذا.

رآها تبالغ في تنظيف كأس لا يتطلب كل هذه الطاقة وأو شكت أن تكسره وهي تضعه في المصفاة.

– ما إن أعود ، سأدعو "آرون" حتى تنالي قسطاً من الراحة والهدوء.

أبدت موافقتها وذهب هو عبر الحديقة إلى سيارته الريفية ، رجع بفكره لقبلة البارحة فشعر أن العرق بلل صدغيه . ما إن استقر في السيارة أدار المكيف إلى آخره وانطلق.

بعد ساعة ونصف ، كانت "إليزابيث" جالسة على درجات السلم وهي تضحك لدى رؤيتها لـ"دين" يجهد نفسه عبثاً في تعليم "آرون" أسرار لوح التزلج . أما "كيفن" و"كيلي" فكانا يتزلجان بمهارة في الممر متبعين أساليب متنوعة في التزلج.

توجب على "إليزابيث" أن تضع يدها على فمها لتكتم ضحكة صدرت منها عندما عجز "دين" مرة أخرى عن إبعاد القضبان الأربعة في الهواء . لكن هذا لم يكن كافياً فاستدار "دين" ليزورها . وقال من ظرف المرجة الآخر. :

– على الأقل أنا أحاول.

لقد كان على حق ، فلم يكن مكتوباً بأي مكان أن أماً لا تستطيع أن ترسخ في ولدها حس النشاطات في الهواء الطلق . بالطبع إن لوح التزلج كان يحمل مخاطر لم تكن جاهزة لتحمل عبئها، لكن هناك اختيارات أخرى. الصيد مثلاً : فهي رياضة سهلة وممتعة ، هناك آباء كثيرون يصطحبون أولادهم للصيد ، ليس سوى أن يجلس الواحد منهم على كرسي طويل ويراقب الفلينة من زاوية عينه ويرشف الشراب . قد يكفي استبدال الشراب بعصير البرتقال و سيكون كل شيء جاهزاً . طبعاً هناك مشكلة الطعم . قد يكون هناك احتمال إقناع "آرون" بأن يعلق الدودة بالصنارة .

كان "آرون" يتلقف كلام "دين" الذي كان يتابع الشرح باهتمام، وصول جيرانهم الجدد كان بالنسبة إليها فرصة غريبة . كانت هي تراقب تصرفات "دين" مع ولديه تتعلم هي أيضاً أن

تكون أباً جيداً.

ما إن أجاب "دين" على سؤال "آرون" حتى رأى "إليزابيث" تختفي في المنزل، فسأل نفسه بحيرة إن كانت ملاحظته قد أزعجتها، فقد بدا له أنها قطبت حاجبيها . أوصى الأولاد أن يكونوا هادئين وخرج بدوره نحو السرادق الأبيض . وجد جارته في المطبخ تضع الفناجين على لوح مرصوص بالفطائر.

– "إليزابيث"؟

– نعم ، "دين"؟

– فجأة ، وبضيق ، وضع قدماً على أخرى وهو يسأل نفسه كيف سيشرح لها ما لا يشرح ،لماذا تبعها؟ كان لديه انطباع بأنه جرحها ليس أكثر . هذا مضحك.

احمرت "إليزابيث" لدى تذكرها للقبلة الليلة الماضية بعد تلاقيهما في الحديقة. نامت نوماً خفيفاً .

– "إليزابيث"؟

– مررت لسانها على شفتيها الجافتين وصرخت.

– أنا بحاجة إليك "دين" ، أريد أن تعلمني كيف أكون أباً جيداً.

(٤)

– أباً جيداً ؟ كرر حائراً وهو يمرر يده على شعره.

– نعم ، أباً . أحداً يمكنه أن يصطحب ولده إلى الملعب أو إلى الصيد ، لا اعرف شيئاً عن كرة القدم إلا ما ندر ، تعلم جيداً أن الأب يعرف هذه الأشياء. يوماً ما سيسألني "آرون" أسئلة أكون عاجزة عن الرد عليها .

– عند رؤيته لابتسامة حارة ترتسم على شفتيها شعر بالارتياح.

– تعلمين ، لم يعلمني أحد دروساً في الأبوة ،كل يدبر أمور نفسه على قدر ما يستطيع ، إنها مسالة غريزة وعقل سليم.

– لا تريد أن تساعدني؟

– لم أقل هذا ، حسناً من أين تريدين أن نبدأ ؟ ممكن أن نذهب إلى بيتنا ونشاهد مباراة مع الأولاد ونحن نرتشف الشراب.

– ليس هذا كل ما في رأسي . أجابت وهي تضحك .

– فليكن ، أليس من الأسهل أن تقولي لي ما يدور في رأسك؟

– جلسة صيد . أعلم أنك انتقلت توا إلى المنزل ولديك كثير من الأعمال لتنجزها . لا شيء مستعجل ، ما رأيك أن تذهب إلى الصيد معنا ذات يوم عندما لا يكون لديك شيء معين تفعله ، أعرف مكاناً رائعاً قرب المدينة ، ترى هناك دائما

أناساً يصيدون .

– غداً يناسبك؟

– لا أريد أن ادفعك "دين" .

– منحت نفسي أسبوعي عطلة . ثم أعتمد على تركين مكتبي في المنزل.

– شكراً . لا أعرف ماذا تطرح بالمقابل؟

مرت فكرة برأسه لكن ليس فيها شيء أبوي مفضل أن يقمعها. على كل عندما نظرت إليه المرأة الشابة تولد لديه شعور بأنها قرأت أفكاره.

– أقترح عليك صفقة لتبدد سوء مزاجك إذا أردت ، فإن "كيفن وكيلي" يستطيعان أن يرافقاني إلى المسبح كل مرة أصطحب فيها "آرون" ، فهذا سيمنحك عدة ساعات من الهدوء كل أسبوع وبالمقابل سوف تعطيني دروساً في الأبوة عندما لا تكون مشغولاً.

– لدي شعور بأنني أعقد صفقة جيدة ، قال ذلك وهو يمد يده لها . صفقة مبرمة سنبدأ منذ الغد دروس الصيد .

– عندما شدت على يده انتابتها رعشة .

– فقط ، أتمنى ألا أكون مجبرة على استعمال الدود .

– لا ، وهو يترك يدها نستطيع أن نتصرف بقطع من الخبز.

– حقاً ؟ هذا ليس مشهياً جداً.

– ولا الديدان أيضاً ومع هذا فإن سمك الشبوط مولع بها . وهو يضحك.

– فليكن ، وقد بدت ابتسامة مشرقة على وجهها ، ما رأيك في الذهاب حوالي الحادية عشرة ؟ سأحضر ما يلزم للنزهة الريفية .

– رائع سأحضر الشراب والطعم.

اتكأ "دين" على نافذة غرفته وهو يتشاءب . إنها تتجاوز الواحدة بعد منتصف الليل. أيقن من خلال رؤيته للضوء الذي ينير حديقة جيرانه الصغيرة أن "إليزابيث" لم تخلد للنوم بعد، كانت بومة وحيدة تنعب في الليل . قرر أنه في صباح الغد سيذهب إلى المدينة لشراء دهان أخضر اللون كان قد قرر أن يعيد به طلاء غرفة الدكتور "سنيدر" والتي من الآن فصاعداً ستكون مكتبه الذي يعمل به ، ومن ثم سيبدأ بأعمال الترقيم للغرف والصالون.

استقرت عيناه على مربع الضوء الصغير الذي ينبعث من نافذة مطبخ "إليزابيث" ترى كيف ستكون ردة فعلها إذا ما ذهب إليها في زيارة ليلية ؟ هو يستطيع دائما أن يختلق حججاً كثيرة كأن ينقصه سكر أو قطعة ضد البعوض... بكل الأحوال فإن صورته في نظرها لن يتهددها خطر كبير ، فهي تأخذه قبلاً على أنه مجنون.

كان قد نزل خمس درجات عندما اختفى ضوء مطبخ "إليزابيث" . بعد ثوان قليلة غرقت غرفة الطعام في ظلام حالك، توقف ورفع كتفيه وهو يقول لنفسه هكذا أفضل بعد أن تمنى في خلده أحلاماً سعيدة للمرأة الشابة وعاد إلى منزله.

بعد تسليم دفعتهم الأخيرة عادت "إليزابيث" و"آرون" إلى السيارة . كانت هناك قصبتا صيد جديدتان تحتلان المقعد الخلفي مع علبة للوازم الصيد . رأت المرأة الشابة وهي تركن سيارتها أمام بيتها "كيفن وكيلي" ينتظرانها عند باب السرادق. سأل "كيفن" .

– ماذا كنتما تفعلان؟ لقد بدأنا نعتقد أنكما نسيتمانا.

نزلت من السيارة وهي تبتسم وقالت :

– أبداً ما كنا لنبدل رحلة الصيد هذه بكل ذهب العالم.

فكر "كيفن" قليلاً ثم ابتسم.

– قال أبي إنك ستهتمين بلوازم النزهة.

– لقد أحضرت معي المؤن . وهمت بفتح الصندوق.

– رائع ، أترى "كيلي" ، لقد قلت لك إن السيدة "لانكاستر" لن تتركنا نموت من الجوع.

– ألم تتناولا فطوركما؟

– الحبوب فقط ، فأبي لا يعرف أصول الطهو أبداً.

– أبداً.

– بالكاد يستطيع تدبر أموره بالفرن الحراري السريع (الميكروويف) أما الزلابية فهذا متروك لطولها. قطبت "إليزابيث" حاجبيها واستدارت نحو ولدها.

– "آرون" عليك الذهاب للعب مع أصدقائك بينما أحضر للنزهة.

جلست "إليزابيث" تحت شمس الظهيرة على غطاء

"اسكوتلندي" يعود لجدتها ، في ظل شجرة صفصاف متدلية الأغصان وتنحني بكسل على ضفة نهر ضيق . كان "دين" هناك على ضفته ، الحشرة متدلية وهو يلعن بصمت ذاك الذي صنع قصبة صيد "آرون" ، لم يعتقد أبداً أن تركيب قصبة صيد ستكون عملية معقدة هكذا ، بعد أن اقتلع شص الصنارة بشكل سيئ بإصبعه كلح وجهه . ثم قال وهو يتنهد بارتياح .

– تعال وخذ قصبتك يا "آرون" لقد انتهيت .

اقترب الطفل مشرقاً .

– لا شكراً لمساعدتك ، سيد "ماكنزي" شكراً ماما .

قبل والدته على وجنتها .

– لا شكر على واجب صغيري ، لقد عملت جاهداً هذه السنة . لذا أنت تستحق هذه القصبة . من يعلم قد تتمكن من الحصول على دراجة هوائية العام المقبل . اذهب إلى "كيفن وكيلي" ، أنا متأكدة من أنهما سيعلمانك كيفية تثبيت الطعم بالصنارة .

استدارت نحو "دين" كان يلبس بنطلوناً قصيراً باهتاً وقميصاً قطنياً أزرق يظهر انتفاخ عضلاته ومنكبيه العريضين . يبدو شعره براقاً تحت الإضاءة . ولكي تطرد "إليزابيث" ارتباكه ، أخذت القصبة الثانية وطبعاً أعطتها لـ "دين" وهي ما تزال مغلقة .

– والآن ، عليك أن تركب قصبتي وإلا فليس هناك طعام .

قطب "دين" حاجبيه .

– ماذا يوجد في هذه السلة؟

– ماذا هناك للرواية مع تركيب قصبة الصيد ؟

– إذا لم يعجبني الجواب فساعتصم، فتركيب القصبة يتطلب جهداً خطيراً .

– حسناً ، تنهدت وهي تفتح الحقيبة ، لنر ، لديك الخيار ، شطائر الدجاج أو اللحم البارد هناك أيضاً سلطة البطاطا ، بيض مسلوق ، خيار مخلل، شيبس ، فاكهة طازجة ، آه نسيت ، وفطيرة الكرز أيضاً .

– كل هذا في سلة واحدة؟

– نصنع المعجزات بطرق التعبئة الحديثة .

رفعت عينيها ففوجئت بومضة الجوع العادية في نظرة "دين" .

– ستفعل خيراً إن أنت أسرعت بتركيب قصبتي ، وإلا فانا خائفة فعلاً من أن تموت من الجوع ! قالت هذا وهي تضحك .

هز "دين" رأسه وبدأ بالعمل وهو يتمتم ببضع كلمات غير مفهومة .

– أخبريني عن سرك ، سيدة "لانكاستر" . ماذا فعلت حتى استحققت ولداً كـ "آرون" ؟

– كيف ؟ وهي مندهشة .

– إنه مطيع جداً تربيته عالية .

عقدت حاجبيها .

– تتكلم عنه وكأنه كلب مؤدب .

قطع "دين" فجأة عمليته الدقيقة التي تشغله ، اعتقد أنه

شعر بمعاناة حية في صوت رفيقته عندما رفع عينيه ، رآها تنظر إلى الأرض فادار ذقنها بحركة رقيقة وتمعن في عينيها الكبيرتين الممتلئتين حزناً . فقال بصوت عذب .

– ماذا هنالك؟ ما هي المشكلة مع "آرون" "إليزابيث"؟

– إنه رائع أكثر من اللزوم .

– كيف؟ وهو يرفع حاجبيه .

– إنه طفل نموذجي ، في المدرسة ينال دائما أفضل العلامات في جميع المواد ، كان يعرف أن يقول من فضلك حتى قبل أن يعرف بماذا يناديني ، لم ينس قط أن يقول شكراً . ما احتجت يوماً إلى أن أعاقبه ، أو أوبخه ، يعرف مسبقاً جدول الضرب .

عندما لاحظت الابتسامة التي كانت قد بدأت ترتسم على شفتي "دين" رفعت صوتها .

– إنه ليس طفلاً طبيعياً ، منذ أن توقف عن تبليل سريره ، لم أحتج مرة لأن أذكره أن يغلق غطاء التواليت بعد الانتهاء منه ، لم يضع مرة يده في أنفه ، لم أره يمسح فمه بكمي قميصه . هل تعرف أنت كثيراً عن الأولاد هكذا؟

كان هذا أكثر مما يحتمل وبالرغم من كل جهوده فقد انفلتت منه ضحكة مدوية .

– تستطيع أن تضحك فأنت على الأقل لديك صبيان طبيعيان جداً ، أنا متأكدة أنهما لا يسببان لك مشكلة .

– تظنين ؟ بدأ يستعيد هدوءه شيئاً فشيئاً . "كيفن" متأخر عاماً كاملاً في المدرسة أما "كيلي" فهو لم يتوصل أبداً إلى

كتابة حروفه بشكل صحيح . لم أنجح أبداً في أن أجعلهما يقولان شكراً أو من فضلك، على كل المحاولة ليست خطأ ، عندي غطاء التواليت لم يغلق أبداً ، أما صانعو المناديل ، لو اعتمدوا علينا لكانوا أفلسوا منذ زمن جدتي .

– آه . . .

– نعم "إليزابيث" هل تريدين أن نتبادل؟

– لا ببساطة ، أنا أهتم أحياناً بـ "آرون" ، إنه ليس طفلاً معجزة ، لكن القراءة هي تسليته المفضلة . فنشاطات الأطفال الذين من سنه يبدو أنها لا تستهويه .

– من هنا دروس الأبوة؟

– نعم لم يمر سوى سنتين على موت جده . لم يخضع أبداً تحت أقل تأثير ذكرى قد أفضل أن ينفتح على مميزات النشاطات في الهواء الطلق .

تنحنح "دين" :

– وأبوه؟

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه "إليزابيث" وأدارت نظرها .

– كنت حاملاً في ثلاثة أشهر عندما أعلمني زوجي عن نيته في الطلاق ، في الظاهر لم يكن جاهزاً لتأسيس بيت، جعلته يعدني ألا يحاول الاتصال بي أو بولدي .

– هل يساعدك ؟ أيدفع لك نفقة؟

هزت رأسها .

– هذا جزء من اتفاقنا ، ليست هناك نفقة وبالمقابل ليس

هناك زيارة أيضاً ، كنت أريد أن أتأكد من أن "رون" لن يكون له حق أبداً على "آرون" .

لفظ "دين" شتيمة ثم قال بغضب :

– تهاني الحارة إلى محاميك .

فاجأتها ردة فعله الحادة ، فوضعت يدها على قبضته المغلقة .

– هذا لا شيء "دين" ، لقد رأيت الكثير من الأطفال الذين يعانون لأنهم لم يكونوا مرغوبين ! لم أرد أن تكون هذه حال ولدي . إنه السبب الذي من أجله عقدت هذا الاتفاق مع "آرون" .

لم يتقبل "دين" فكرة أن أباً يمكنه أن يتخلى عن فلذة كبده هكذا .

– هل حاول أن يراك ثانية ؟

– أبداً . حتى إنه لم يحاول أن يعرف إذا كان المولود صبياً أو بنتاً .

شتم "دين" ثانية .

– هل تظن أنه سيكون من الجيد أن يمضي "آرون" كل أيام العطلة مع مثل هذا النموذج من الناس ؟

أجابها رفيقها وهو يمسك يدها .

– لا معك حق ، فهذا يعني أنك ستجبرينه على تحمل الأعباء المادية .

– في هذه الحالة ، سيكون له الحق في التدخل في حياة "آرون" ... أردفت بلهجة خفيفة ستفعل خيراً إن أسرعت بأمر

هذه القصبة . لدي انطباع بأن الأطفال يفقدون صبرهم . لم يتوقف "كيلي وكيفن" عن لف بكرة الصيد ، على بعد عدة كيلومترات ثبت "آرون" بإتقان الفلينة . قصبة "إليزابيث" أصبحت جاهزة فأخرجت من سلتها علبة صغيرة من البلاستيك، وسحبت منها قصبة من الزلابية بعضها له رائحة الجبن المطبوخ وبعضها الآخر له رائحة البابريكا والجزء الأخير بالبقدونس ، فتح "دين" عينيه وسأل .

– ما هذا؟

– زلابية .

– لكن... إنها صغيرة جداً .

أجابت بلهجة ساذجة .

– هذا ليس من أجلنا سيكون هذا ظلماً ، بصراحة لو كنت سمكة لم أكن لأتردد أبداً في عض هذه الزلابية على أن آخذ قطعة صغيرة من الخبز . وأنت؟

كان "دين" يهم بالإجابة لكنه فضل السكوت ، فإن كانت تتمسك لهذه الدرجة في إطعام الشبوط الزلابية ، من يكون هو ليقنعها عن أن تعدل عن قرارها ؟ نهض من مكانه وفي يده قصبة الصيد .

– تعالي، سأعلمك كيف تمسكين القصبة .

مشت معه جنباً إلى جنب حتى الضفة . كان الأطفال على بعد عدة كيلومترات ، وأشارت لهم بيدها . أعطاها "دين" القصبة . طوقها من الخلف بحجة أنه سيلقنها العمليات الأولى

لرمي القصبة . أطلقت صرخة خفيفة لكنه لم يتركها مذعورة . قال بصوت عذب:

– للرمي ، عليك أن ترخي يدك وتمرري الخيط من تحت سبابة يديك يكفيك، أن تسحبي بحركة سريعة لتدور بكرة الصيد، اتفقنا؟

لم يكن يعرف ماذا يقول . كان التصاقه بتلك المرأة ،حرارة جسدها ورائحة عطرها العسلي، كل هذا أربك أفكاره ، لو اقترب منها خمسة سنتيمترات أخرى لن يستطيع الرد أبداً . أجابت بصوت متهدج ومضطرب .

– حتى الآن سهل، وبعد؟

بعد لحظة صمت أجاب بصوت منخفض وهو يحاول أن يستعيد أفكاره.

– سأعلمك كيف تقومين بالرمي . ضعي يدك هنا وهيئي نفسك على أن تفكي رباطة جأشك في الوقت الذي نرمي فيه.

كانت "إليزابيث" تتبع التعليمات بالحرف، مضطربة من احتكاك يدي "دين" المتعرقتين فوق يدها وفي لحظة ، قام الاثنان برمي رائع . انسل الخيط وهو يصفر في الهواء، ورسمت السدادة قوساً من دائرة ، وقعت على بعد ستة أو سبعة أمتار أمامها . للأسف ، لم يكن عرض النهر في تلك الناحية سوى ثلاثة أمتار.

شعرت "إليزابيث" بضحكة "دين" من ورائها ، كان يحاول أن يخفي ضحكته بلطف. استدارت نحوه وعيناها طافحتان

فرحا.

– إذن يا أستاذ ؟ كيف كان علي أن أسحب برأيك ؟

– كمحاولة أولى . ليست سيئة ، هل أنت متأكدة أنك لم تحاولي مسبقاً ؟

– إنها محاولتي الأولى ، أحبذ أن تنزع عني هذا الشك . ثم ألم يسقط الطعم في الماء ؟

فكر "دين"

– إنها نقطة لك.

(٥)

شعرت "إليزابيث" بأن شيئاً ما يلامس أنفها فرفعت يدها إلى وجهها لتبعد ذلك الشيء المتطفل. عاد ذلك الشيء إلى وجهها فتمتمت بكلمة غير مفهومة ودون أن تتوصل إلى فتح عينيها أعادت الكرة.

– استيقظي أيتها النائمة الجميلة.

ابتسمت "إليزابيث" وهي نصف نائمة ، داعبت نسمة عليلة أغصان الصفصاف المتدلية ، عقدت حاجبيها وقالت في نفسها أنه لا يوجد صفصاف متدل في غرفتها . اتكأ "دين" على كوعه وأخذ يراقبها وهو يحاول أن يحزر أية أفكار تراودها. لقد أمضيا وقتاً ممتعاً معاً.

– طاب يومك أيتها النائمة الجميلة.

ألقت المرأة الشابة نظرة حولها لتتحقق أين هي . بعد درس الرمي كانوا قد تناولوا جميعهم الغداء تحت ظل الصفصاف ، ثم أخذ "دين" الصبية إلى أسفل النهر، وبعدها تمددت هي على الغطاء لتنعم بسكينة المشهد وتراقب من وقت لآخر فلينة قصبة الصيد التي لا تتحرك . لقد كان ذلك آخر ما تذكرته ، ثم غفت ، رفعت نظرها نحو الرجل الذي يتأملها مبتسماً، فقالت متهكمة :

– أين الصبية ؟

– إنهم يكتشفون الضفة.

– كانت جالسة قربه وتشعر بالأمان ، ثم حاولت أن تحول انتباهها إلى الفلينة.

– "دين" أعتقد أن سمكة عضت الطعم . فأجابها وهو يبتسم ابتسامة خبيثة :

– أتعتقدين ؟ من أي نوع ؟

– نهضت وهي تصرخ :

– سمكة ! أخيراً !

ركضت حتى الضفة لتراقب الفلينة التي كانت تغوص وتحدث نوعاً من الهيجان ، تأملت قصبة الصيد ثم التفتت نحو "دين" وهي مرتبكة :

– ماذا علي أن أفعل ؟

– أعيدي المسكة .

– كيف؟

– بتدوير بكرة الصيد .

– قبضت جيداً على القصبة وجهدت دون طائل أن تتبع تعليماته.

– لا أستطيع . هذه البكرة لا تريد أن تدور !

– لا تتعاملي معها بقسوة .

لكن هذا كان متأخراً جداً . ولقد كانت "إليزابيث" تشد بكل قوتها على القصبة ، تابع "دين" بنظرته المذهولة الخيط والفلينة والسمكة والقصبة التي مرت من فوق رأس المرأة الشابة لتتعلق بغصن عال من الشجرة . نهض ويداه على خصره ، تمعن

الورق السميك لتلك الشجرة . كانت تعلو أربعة أمتار . انتهى به المطاف إلى معاينة سمكة السلمون الضخمة التي كانت تتراقص على طرف الخيط ، صرخت "إليزابيث" مهتاجة .

– إنها ... إنها حية .

– أجاب "دين" بمرح وهو يستدير نحوها .

– ليس لفترة طويلة ، أعتقد أنك ستصنعين عشاء طيباً من السمك هذا المساء ، فهذه السمكة رائعة .

– صار وجه "إليزابيث" شاحباً جداً .

– "إليزابيث" ؟

– فقالت وهي تمسك يده :

– "دين" ... أرجوك لا تتركها تموت ! أرجوك أنقذها .

– رفع عينيه إلى السمكة التي كانت تتحرك وهز رأسه .

– لنر "إليزابيث" الصيد يعني أخذ السمك لأكله . ألم تكوني تعرفين هذا ؟

بلى ، أرغب في السمك . سأذهب لأشتري منه من عند السماك ، أرجوك "دين" !

أعدك إذا أنقذتها سأعد لك دجاجة ستقول عنها أخباراً .

بعد لحظة تفكير ، أمسك بغصن منخفض وشرع بالصعود ، ثم توقف .

– دجاجة مقلية أم مشوية؟

– مشوية مع تفاح دوفيني .

، فأمرها بأخذ الشبكة الصغيرة وتتمركز بشكل عمودي ليستطيع أن يرمي فيها السمكة بعد أن خلصها من الشعر ، تردد وتأمل المرأة الشابة التي كانت تنتظره وهي ترتجف عند أسفل الشجرة .الشبكة مشرعة ، سألها بخبث .

– ألن تصنعي أيضاً حلوى الخوخ؟

– كل ما تريد ! أسرع "دين" برب السماء ! ستموت هذه المسكينة!

وقعت السمكة في الشبكة صانعة ضوءاً فضياً . في الحال أخذتها "إليزابيث" بحنان الأمومة ووضعتها في الماء ، عندها أشعت ابتسامة على شفتيها . نزل "دين" بحذر وهو يفكر بأنه لم يقم بعمل شيء ، فهو يعشق حلوى الدراق .

عندما وصل إلى الأرض استقبلته "إليزابيث" بفرح :

– شكراً لك "دين" ؟

– لأول مرة منذ سن الرشد ، يحمر "دين ماكنزي" الذي عمره ستة وثلاثون عاماً ، حتى أذنيه .

أغمضت "إليزابيث" عينيها على أمل أن يزول انطباعها عن الأشياء العائمة والموحلة المجداف والبالونات وألواح التزلج سوف تختفي عندما تفتح عينيها ، لكن هذا لا يمكن أن يكون إلا هلوسة ، فالرصيف لا يزال مزدحماً .

– "كيفن ، كيلي" أنا آسفة حقاً لكن سيارتي لا تستوعب كل هذا ، لماذا لا تختارون ما تريدون؟ سنذهب كل أسبوع إلى المسبح ، سيكون لكما مجال لأخذ الباقي كل مرة .

لاحظ ولدا "دين" أنها مصممة . أخرج الاثنان منشفة ذات ألوان زاهية وألقياها على الكتف . وضع "كيفن" ثوب سباحة كالحاً أخضر ومنشفة مبتلة . ثم أشرق وجهه:

– سوف أحضر مفاتيح سيارة شحن أبي ! هكذا نستطيع أن نحمل كل شيء . فانطلق صوت غاضب من وراء ظهر المجموعة الصغيرة.

– "كيفن ، كيلي" ؟

أداروا جميعاً رؤوسهم ليروا "دين" قادماً بخطى واسعة ويبدو غاضباً، فولداه جلبا له العار، إن "إليزابيث" عرضت عليهما بلطف أن تصطحبهما إلى المسبح وهما قد تجرآ بالوقوف في وجهها . فامرهما.

– أنتما الاثنان ، لملما حاجياتكما وانسحبا إلى المنزل.

– لكن يا ....

– بالمقشة !

إذا كان سيتوجب على الأطفال ثلاث مرات جيئة وذهاباً لجمع أغراضهم فإن مرة واحدة تكفي لتوصيلها إلى الفيلا.

كان والدهما قد صرخ لدرجة أنه سمع على الطرف المقابل من القرية . التقت نظرة "دين" المفاجئة بنظرة "آرون" ،هش بابتسامة اعتذار.

– إنها المرة الأولى التي أبرهن فيها عن سلطتي ، فأنا حزين على الطريقة التي ربيا بها، فهذا لا يفيد في شيء.

– لم يفعلا شيئاً ، دين، كانا يحاولان فقط إلى أين يمكنهما

أن يصلا ، كل الفتية هكذا .

– حسناً الآن ، لماذا لا تذهبان إلى المسبح بدونهما ؟ سنرى بعضنا لاحقاً . موافقة؟

– موافقة ، لكن لا تكن قاسياً معهما . ولدي انطباع أن صراخك قد أدى مفعوله.

كان "دين" يعود أدراجه حين رأى نظرة الهلع في عيني "آرون" الذي ينظر إليه . فرفض "دين" وأمسك بكتفيه.

– هل أخفتك يا آرون؟

– رجع الصبي خطوة إلى الوراء وأومأ برأسه.

– أنت تعلم أنه ليس بسببك غضبت . أليس كذلك؟

– نعم سيدي.

– عليك أن تعلم أن "كيفن وكيلي" تربيتهما سيئة . ينقصهما التهذيب مع أمك . إنهما كالأطفال الصغار المدللين الذين في طريقهم لأن ينضجوا . أضاف وهو يبتسم، هذا يعني أنهما سيستطيعان مرافقتكما المرة المقبلة إذا قدما اعتذارهما لوالدتك، ويتوجب عليهما أن يعدا بأن يتصرفا بشكل جيد . حلت معالم الريبة محل معالم الخوف على وجه "آرون" . نهض "دين" ومد له يده . وافق الطفل بعد أن نظر إلى والدته مبتسماً. قال "دين" وهو يمرر يداً أبوية على شعر الصغير.

– نبقى أصدقاء أليس كذلك؟

– فرد الطفل وقد بدت نظرة فرح على وجهه.

– نعم سيدي.

– قالت "إليزابيث" بعد حين.

– "آرون" ما رأيك بالسيد "ماكنزي" ؟

– أجابها "آرون" وهو يرفع إليها عينيه الساذجتين.

– إنه الأفضل إنه رائع.

– أوافقك الرأي صغيري . تمتمت وهي تفتح باب السيارة.

رشف "دين" القهوة وهو يجلس على طاولة مطبخ كشك الحديقة وأخذ يراقب "إليزابيث" التي كانت تشرع في إخراج الزلابية المدخنة من الفرن . كان الصبية الثلاثة يلعبون لعبة الشرطة واللصوص مستمتعين بالظل في الحديقة . بعد ساعة من العشاء كان قد قرر أن عقابهما استمر طويلاً. فلقد ذهب إلى غرفتهما ووعظهما بها طويلاً حول التصرفات اللائقة ، ثم لأول مرة ، كانا قد أخليا الطاولة وهيئا آلة الجلي. لقد أذنت الساعة لكي يشاركا في الأعمال المنزلية الإلزامية كل أسبوع . لو كانا قد التزما بجدية لكانا قد حصلا على مصروفهما. إنها مسألة تمرد على الأوضاع في المنزل.

عندما أصبح مطبخ الفيلا في قمة الأناقة ، اصطحب ولديه إلى بيت "إليزابيث" ليقدما إليها اعتذارهما الذي ستقبله فوراً .

اقترحت المرأة الشابة عليهما أن تصطحبهما في الغد إلى المسبح وأخرجت من الفرن فطيرة الكرز التي انتهت من صنعها تواً . سألها "دين" وهو يتأملها تغلق الفرن :

– أحقاً لا تريدينني أن أساعدك؟

– ليست معضلة . بماذا تفكر؟ أنت تجلس هنا منذ عشرين

دقيقة دون أن تتفوه بكلمة .

– بك.

وضعت بيد مرتجفة الخلاط على طرف المجلي وشرعت في خفق البيض.

– أنت أجمل امرأة لديها ... فأنت جميلة من الداخل كما بالخارج.

– لكن ... أنت لا تعرفني جيداً ! ...

– لا يهم من قد يلاحظ جمالك الخارجي ، لكن الذي يكمن في الداخل لهو الأكثر أهمية .

حبست "إليزابيث" أنفاسها غير مصدقة . لم تكن لتصدق بأن تُرى جميلة ، كانت تعتبر نفسها مليحة لا أكثر ، حتى زوجها السابق لم يكن قد فاتحها يوماً بهذا الموضوع . كان "دين" يكلمها دائما ، لكنها كانت مضطربة جداً لكي تسمعه.. فتمتمت محاولة الفرار..

– أنا ... يجب أن أبحث عن مغرفة.

تبعها حتى منبر مجاور مجهز برفوف عريضة كانت ترتج تحت ثقل أكياس الطحين والسكر ومواد أخرى . كانت تتدلى حبابة من طرف الحبل . فهم أنه كان سيدخل لتوه محراب (ملذات ليز) . حيث أواني المغارف من جميع القياسات ، كانت موضوعة بترتيب على رفوف عالية . عند رؤية "إليزابيث" ترفع قدماً لتصل إلى إحداها، اقترب منها.

– اسمحي لي بمساعدتك.

اعتقدت أنه سيلتقط المغرفة بدلاً عنها وإذا به أمسكها هي ورفعها عن الأرض فصرخت ثم التقطت المغرفة . وضعها على الأرض واستند على طرف الباب. لاحظت "إليزابيث" أنه قد أغلق باب الخروج . لم تعد تعرف ماذا تفعل، وتقدمت خطوة نحو الأمام.

– اعذرني.

– حسناً . أظن أني سأفعل خيراً لو أعدت الطفلين إلى البيت ، ببساطة أريدك أن تفكري فيَّ ، فينا نحن الاثنين.

– نحن الاثنين؟

– نعم

– وخرج ، ماذا كان يريد أن يقول؟

(٦)

تردد صوت الهاتف في المطبخ ، مسحت "إليزابيث" يدها ورفعت السماعة متأففة .

– "إليزابيث"؟

– "دين"؟

– كنت أحب أن أعرف ما سوف تفعلان هذا المساء أنت و "آرون"؟

– لاشيء خاص. لماذا؟

سألها بصوت عذب:

– هل أنت جاهزة للدرس الثاني؟

كان هناك صمت قصير.

– نعم.

– رائع سنمر لأخذكما في حوالي الساعة الرابعة . أنصحك بارتداء بنطلون وبلوزة صوفية، فالأمسيات تكون باردة هذه الأيام . هذه المرة أنا سأهتم بالعشاء.

– أين سنذهب؟

– إنها مفاجأة ، لكن صدقيني فهناك درس لا بأس به بالأبوة.

بعد ظهر ذلك اليوم ، ذهبوا جميعا إلى ملعب البلدية حيث سيلتقي الفريق المحلي للكرة الطائرة بواحد من أفضل الفرق في المنطقة. مع أن "إليزابيث" لم تكن تعرف قواعد اللعبة إلا أنها

WWW.REWITY.COM

كانت تتسلى كطفلة صغيرة وتفرح لرؤية المتعة البادية على وجه ولدها . المدرجات كانت ممتلئة والجو حام، وعلى الرغم من خسارة الفريق الذي يشجعونه فإن الحشد بأكمله كانت تعلو وجوههم الابتسامات.

كانت الساعة تتجاوز الثانية صباحاً عندما لاحظ "دين" للمرة الثانية الأنوار مضاءة عند المرأة الشابة ، لقد عادوا في الحادية عشرة مساءً . الأطفال الذين قد غفوا في السيارة دخلوا حالاً إلى النوم ، مر على غرفتهم ليتأكد من نومهم معتمداً على روفو في حراسة المنزل ، سار باتجاه سرادق "إليزابيث" كانت جالسة على طاولة المطبخ ، هبت منتفضة . ما هذه الضجة ؟ كان قالب الحلوى ما يزال في الفرن، كانت في إغفاءه عند سماعها جرس الآلة ينبئها بأن الحلوى قد نضجت. ما كان مؤكداً هو أن الجرس لم يكن قد رن.

سمعت دقاً على الباب . جمدت ونظرت إلى ساعة الحائط . إنها الثانية والنصف، من قد يكون؟ نهضت ومشت عدة خطوات مترددة. عاد الدق بإلحاح زائد . عضت على شفتها . أخذت سكيناً كبيرة واقتربت من الباب بحركة آلية.

– من هناك.

– "إليزابيث"؟ هذا أنا "دين" افتحي.

ارتاحت ، فتحت الباب على بعد أكثر من خمسة سنتيمترات عندما لمح البريق الفضي للسكين في يدها الناعمة وبدون شعور تراجع خطوة ، فقد توازنه حين تعثر بالدرجة العليا

من درجتي المدخل الخشبي وانقلب في العتمة . صرخت "إليزابيث" فزعة وهي تراه ممدداً دون حراك في الممر ورأسه على العشب وذراعه اليسري ممددة بين نباتات "البيتونيا" . تركت "إليزابيث" السكين وركضت إليه كالمجنونة. ركعت بجانبه ورفعت رأسه الذي بدا وكأنه يزن طناً برقة.

– "دين"؟ لا جواب

– "دين" ! أجب!

عندما شعر أنها ستصاب بالذعر قرر أنه قد حان الوقت ليفتح عينيه نادماً ، واكتشف أن عيني المرأة الشابة الواسعتين ممتلئتان بالدموع ، وشعرها كان يتدلى على خديه كأنه يداعبه، ورائحة "البيتونيا" أنعشته، لقد شعر لوهلة كأنه في الجنة وفجأة تنبهت "إليزابيث".

– هل سمعت؟

– ماذا؟

– إنه رنين.

– أصغي السمع

– إنه يأتي من مطبخك.

– إنه جرس إنذار الفرن ، سيحترق قالب الحلوى !

اتجهت مسرعة نحو المطبخ ، لماذا عليها أن تصنع الحلوى في هذه الساعة المتأخرة من الليل في الوقت الذي فيه كان سيطارحها الغرام؟. لم تحمل له النجوم أي جواب ، نهض ببطء واتجه نحو جارته الفاتنة ، كانت تشرع في إخراج القالب الثالث

من الفرن عندما انضم "دين" إليها في المطبخ – كل شئ بخير؟ ألم تشعر بالم حين وقعت؟

– لم ينكسر فيَّ شيء ، أؤكد لك ذلك .

– هل تستطيع أن تشرح لي ماذا حصل بالضبط؟

– متي؟ قبل أو بعد ما استقبلتني بسكين المطبخ؟

– هذا غامض ، أنا ... حسناً ، هذا صحيح ، كنت أحمل سكيناً لقد خرجت مندفعة قليلاً .

– لماذا؟

– لأنك أخفتني كثيراً ! فلست معتادة على سماع أناس يدقون بابي في الثانية صباحاً ! كيف تريدني أن أعرف من يكون ؟ لم أعرف ماذا أفعل .

– عندما شعر بالخوف والندم بادياً على صوتها ، تقدم نحوها أربع خطوات وأخذها بين ذراعيه .

– أنا آسف لأنني سببت لك الخوف عزيزتي ، معك حق ، لا تفتحي لأحد في مثل هذه الساعة .

– في المرة القادمة استدعي الشرطة أو الأفضل أن تسجلي رقم هاتفي ، اتركيه بالقرب من الهاتف واستدعيني . عندما استرخت "إليزابيث" شعرت بحس الدعابة .

– كيف سأطلبك إذا كنت أنت الذي يدق بابي؟

– نقطة لك . في مطلق الأحوال أستطيع أن أقول لك إنه حتى لاعب الساموراي يمكنه أن يخاف عند رؤيته لسكينك الضخم هذا .

– هذا لا يفسر تدحرجك على الدرج .

– حسناً ، أنا ....

– هل اعتقدت حقاً أنني ساهاجمك؟

– لم يكن لدي الوقت لأفكر ، تعرفين ، الغريزة تتكلم قبل العقل .

– انفجرت ضاحكة . فجأة اتخذت هيئة جدية فامسك بذقنها .

– "إليزابيث" ، لقد أفقدتني عقلي ، لكن أعتقد أنه لا يجب الذهاب بعيداً أو التسرع . لو كنا وحدنا لكان الأمر يسيراً، ولكن هناك ابنك وطفلي . ما أشعر به تجاهك لم أختبره مع أي امرأة أخرى عادة ، أنا رجل صبور ، لكن معك ، لست متأكدا من ثبوتي طويلاً، لكن مع ذلك سأحاول الانتظار ، ستراجعين حساباتك وتختارين ، طابت ليلتك وأتمنى لك أحلاماً سعيدة . قال هذا وطبع قبلة على خدها . وصل إلى الباب حين سمع صوت المرأة الشابة .

– وأنت "دين" ؟ هل قمت مسبقاً بالاختيار؟

– كيف إذن ! قال هذا واختفى في الظلام .

في الصباح ، حوالي الساعة التاسعة ، زينت "إليزابيث" قالب الحلوى الأخير الذي صفته بالكريما المثلجة . سلمت الحلوى لزبائنها ثم قامت بالتسوق . شعرت أنها عصبية فلم يكن قد غمض لها جفن الليلة الفائتة فصورة "دين" ترافقها كأنها هوس .

الدجاجة المشوية التي كانت قد وعدت بها جارها مقابل إنقاذ حياة السمكة ، قد حضّرت لهذا المساء. تثاءبت وهزت رأسها وهي تتأمل الزهرة التي ترسمها على قالب الحلوى.

حوالي الظهيرة بدأت تمطر . أرسلت "آرون" ليخبر "دين" أن العشاء سيكون جاهزاً في حوالي الساعة السادسة . بينما كانت تقوم بترتيب المؤونة رن الهاتف كان "دين" . بدأ قلبها بالخفقان . القلق الذي عانته كان يرغمها أن تعترف لـ"دين" بحبها له ، لكن هل سيمكنها التعايش مع خيبة أمل جديدة؟

– "إليزابيث"؟

– نعم ... آسفة كنت شاردة الذهن

– أرى ذلك . لقد طلبتك لأسألك إذا كنت أستطيع اصطحاب "آرون" مع الصبيين بعد ظهر هذا اليوم لقد وعدت طفلي أن أدهن لهما غرفتهما هذا الأسبوع يجب أن نذهب لنشتري الدهان.

– طبعاً . إذا كان هو موافقاً.

– هو الذي طلب مني أن أسألك ، سأستفيد من هذه الفرصة وأشتري الموكيت قبل أن تهترئ الأرضية تماماً . هذا الصباح كانا يتصايحان ، تصوري أنهما كانا يلعبان الهوكي مع "روفو" .

– بالمناسبة ! هل أخبرك "آرون" من أجل العشاء هذا المساء؟

– نعم ، لكن لست مجبرة على القيام بهذا ، ذاك اليوم

كنت أمزح ؟

– ابتسمت.

– الوعد وعد . سوف أنتظركم في السادسة وقل "لآرون" بالأخص أن يتصرف بشكل جيد.

– هذا ! لا أقلق لهذا بتاتاً . إلى المساء "إليزابيث" .

كانت تبتسم وهي تغلق الهاتف ، أخيراً ستكون بمفردها بعد الظهر. تمطت بفرح وسلكت دون تردد الطريق إلى غرفتها ، عند وصولها ، رمت نفسها بابتهاج على لحاف مزغب قديم كان يعود لجديها ، تكورت عليه بتلذذ وهي تصغي إلى تساقط المطر الذي كان يضرب القرميد باستمرار. سمعت من بعيد صوت أبواب سيارة شاحنة جارها المرتبك . كانت فكرة "دين" رائعة عندما اقترح اصطحاب ولدها معه . كان يبدو ودوداً جداً على الهاتف مما يثبت أن الذي حصل في الليلة الفائتة لم يغرقه في أرق فظيع . لماذا تشعر هي بأنها واهنة هكذا؟ وضعت يديها على أذنيها لتطرد صورة "دين" من مخيلتها ولتجد قليلاً من النوم.

(٧)

تأملت "إليزابيث" "الميكروويف" عاقدة الحاجبين ، هكذا إذن فرن المستقبل ، لم يعجبها ، يوجد داخل هذه العلبة السوداء شيء مخيف ، ولو أنها لم تحزر ما يمكن أن يكون . انحنت على الباب الزجاجي الصغير المدخن وراقبت كيس الفيشار المغلق الذي يهتز كل ثانية في تقلص جديد . كانت تعرف ما تفعل في هذه الحالة ، هذا الفيشار لن يصل لكاحلها أبداً . في الشتاء كانت تصنعه في المدفأة بمساعدة "آرون" وأيضاً الهوت دوج . باستثناء فرن "الميكروويف" ، مطبخ "دين" كان يعجبها ، لقد أنجز خلال شهر الكثير من عمليات الترميم، فمكتبه صار جاهزاً ومهندساً بشكل أنيق . غرفة الصبيين كانت قد دهنت باللون البيج ومفروشة بموكيت بني، الحمام بالمقابل كان مزيناً بورق الجدران المائل للون الوردي وكان مزوداً بصنابير صدئة لكنه لم يكن يحتفظ بجاذبيته مع حوض السباحة القديم .

ألقت نظرة راضية على المطبخ ، فقد شاركت في ترتيبه ، قبل أسبوعين كان "دين" قد اقتحم عليها المطبخ عارضاً عليها بطاقات دخول كان قد اشتراها لمسابقة السيارات القديمة، فقد كان هذا يعني في رأيه درساً في الأبوة ، وبما أن عطلته قد انتهت فهو قد لا يستطيع أن يعطيها درساً آخر قبل مضي بعض الوقت .

وسط المجموعة وهدير المحركات كان قد شرح لها أنه كان يتمنى أن يرتب مطبخه قبل البدء في العمل، وبما أن "إليزابيث" كانت ترغب في قضاء بعض الوقت معه فقد عرضت عليه مساعدتها .

السبت التالي وبعد دورتها في التسليم كانت قد ذهبت مع "آرون" إلى أقرب مركز تجاري للبحث عن مذياع وأغطية وقطع أخرى كانت تبدو لها ملائمة لمطبخ ريفي . كما أنها اختارت الدهان لوناً ورديا ، ابتسمت لدى رؤيتها للنتيجة النهائية . كان "دين" قد اختار الأثاث ريفياً من خشب الصنوبر حتى يظهر جمال الغرفة ، انبعث من الاثنين انطباع رائع بالطمأنينة .

فرق رنين الفرن الصمت المهيمن ، صار الفيشار جاهزاً للأمسية التي على وشك أن تبدأ اليوم ولأول مرة ، لن ينام "آرون" تحت السقف نفسه الذي ستنام تحته هي . لقد ساعدته على نقل كيس نومه ومخدته وحقيبة مملوءة بملابس للتغيير ، ثم انكفأت في نفسها في المطبخ لتحضر وجبة تسلية، في حين أن "دين" كان يهيئ أشرطة الفيديو التي كان قد استأجرها من أجل السهرة. أطلقت تنهيدة ، أخرجت جريب الفيشار من الفرن وأفرغت المحتويات في إناء كبير .

"دين" ... ومنذ مشهد السكين لم يكن قد اقترب منها كثيراً ، ومن ثم مرت الأيام ، كلما كانت تشعر بالحاجة لقربه منها كانت تشعر بنفسها فراغاً وهو الوحيد القادر على ملئه .

تحبه ، تحب لطفه وإدراكه وحسه للدعابة وبساطته وخاصة

حرارة وجوده بجانبها. دخل "دين" إلى المطبخ لمساعدتها، لكنه توقف لدى رؤيته لخديها الورديين ولعينيها اللامعتين فانقبضت أصابعه وصفا صوته.

– هل أنت جاهزة؟ الجلسة تكاد تبدأ.

– لم تعر تقاطيع وجهه عن أدنى عاطفة أو انفعال. تنهدت.

– لم يبق سوى تحضير الشراب، يستحسن أن أعود لمنزلي وأترككم تشاهدون هذه الأفلام بين بعضكم.

– لا تكوني سخيفة، فالأطفال يرغبون في أن تبقي.

– وهو هل يرغب أيضاً؟

– حسنا، سأبقى لبعض الوقت، لكنني مرهقة قليلاً، أنوي النوم مبكراً.

لقد بذل "دين" جهداً كبيراً كي يقاوم رغبته في أخذ المرأة بين ذراعيه. فمنذ أسبوع وهو يناضل ضد النار التي تستعر في أوصاله في كل مرة يقترب فيها من "إليزابيث"، لكنها تحتاج للوقت ولا يريد أن يستعجلها. عمل جاهداً أن يبتسم ابتسامة ودية.

– اجلبي أنت الفيشار وسأهتم أنا بالشراب.

– حسناً. ما هي الأفلام التي استأجرتها؟

– "بيتر بان" "وجر يزلي".

– "جريزلي"؟

– أجاب وهو يبتسم.

– إنها قصة دب يفترس المخيمين المنعزلين.

– وهل لديك النية في أن تدع الأطفال يشاهدون هذا الرعب؟

– لا .... سأراه بمفردي عندما ينامون.

– هزت رأسها، فلاحظت استنكاره.

لقد أمضوا الساعتين التاليتين في متابعة "بيتر بان" وهم يأكلون الفيشار والشيبسي ممسكين دائما بكأس العصير، كانت "إليزابيث" تبتعد عن "دين" بضعة سنتيمترات لكنهما لم يتلامسا، يمكن القول إنهما كانا منفصلين بهوة دون عمق. لم تستطع المرأة الشابة أن تركز على القصة التي تعرض أمامها. انتهى الفيلم، شعرت به وكأنه قد مضى قرن، صعد "دين" إلى الطابق ليطمئن على نومهم. كانت تعيد ما تبقى إلى المطبخ. عندما نزل سألته وهي تلملم زجاجات العصير. – هل ناموا؟

– دعي عنك هذا "إليزابيث"، يمكنك أن تصعدي وتتمني لهم ليلة سعيدة.

– لا أعتقد أن "آرون" يرغب في أن يعامل كصبي كبير لأول ليلة ينام فيها خارج المنزل، أعتقد أنه يجب أن أعود.

– لماذا لا تبقين قليلاً؟ سأل بخبث، فمن الممكن أن يحتاج "آرون" إليك.

– سمع من الأعلى قهقهات ضحك، كل شيء يبدو أنه يسير نحو الأفضل.

– لماذا يسعى إلى استبقائها؟ كان لديها إحساس مرتبك أن

ابتسامة مضيفها الحارة تخبئ شيئاً ما .

– حسناً . هل تريد أن أساعدك في تحضير القهوة؟

– لا ، لكن يمكنك أن تبقى بصحبتي.

عندما جهزت القهوة ، أدخل الفيلم الثاني إلى الفيديو وانضم إلى "اليزابيث" ووضع يده على مسند الكنبة خلفها فابتسمت له فقال وهو يضحك :

– في حال إصابتك بالخوف لا تترددي في اللجوء إلى ذراعي.

– فردت بسخرية .

– فقط عندما أخاف.

شع المرح في نظرة "دين" ، لقد كانت زاهية في الظل بقميصها الواسع ذي الكمين المطويين وبالجينز الضيق يظهر تناسق جسدها بزنار ذي بكلة فضية.

كان يحبها ، ابتسامتها وذكاؤها وبراءتها تثير جنونه ، لقد كانت فخورا بنفسها وعنيدة وشريفة فلقد جعلت من هذه المهنة الصغيرة مورداً حسناً تستطيع معه أن تربي "آرون" . كان يريد أن يمتلكها جسداً وروحاً . قال وهو يضع يده على كتفها.

– لا يا طفلتي الجميلة ، تستطيعين اللجوء إليّ متى "أردت" .

كان يصدر من الأعلى وصلة أخرى من الضحك ، من البديهي أن الأطفال لم يكونوا مهيئين للنوم بعد. بحجة تناول فنجان القهوة ابتعدت عن "دين" وشدت انتباهه إلى الفيلم

الذي كان يبدأ : فتاتان فاتنتان تنصبان خيمتهما في مشهد جبلي صحراوي . كان الجو ينبئ بالشؤم سألت قلقة :

– هل تظن أنه سيراق الكثير من الدم؟

– إنها المرة الأولى التي أرى فيها هذا الفيلم ، كوني منتبهة "إليزابيث" فأمام عينيك تجربة للامتحان الذي إذا أنجزته تنالين شهادتك في الأبوة.

– عمّ تتكلم ؟ عن الدببة؟

– لا عن التخييم ، فاختبارك الأخير يكمن في التخييم في الطبيعة.

– وسط مجموعة من الدببة؟

– لهذا يجب الذهاب إلى كندا ، ففي مناطقنا لا نرى الدببة الشمط إلا في حديقة الحيوانات.

التفتت نحو الشاشة مرتاحة . الفتاتان كانتا تشعلان النار في الحشب، في حين كان غياب الشمس في الأفق يلون السماء بلون أحمر . بعد العشاء أطفأت الفتاتان النار تحت الرماد وهيأتا أكياس النوم . في الوقت الذي كانت فيه "إليزابيث" ترفع فنجان القهوة إلى فمها اخترقت يد ضخمة الشاشة واقتلعت بعنف وجه الفتاة الشقراء. لكن صراخ "إليزابيث" طغى على صراخ الخيمة البائسة، تركت الفنجان والصحن وخبأت وجهها في ذراع "دين" الذي جاهد في أن يكبت ضحكته. خرج الدب الأشمط يزأر وراء الفتاة الحنطية ، قطع جهاز التحكم عن بعد .

– هيا "إليزابيث" ! إنه ليس سوى فيلم.

– يا إلهي ! أرأيت كل هذا الدم؟

– أي دم؟ كل ما رأيته هو كتشاب وقناعا من الكاوتشوك وكف دب مزيفة رفعت رأسها وتأملت وجه رفيقها الباسم.

– كيف تستطيع أن تشاهد أفلاما هكذا؟

– إنه الفيلم الوحيد الذي وجدته يحوي فكرة التخييم.

– أو تظن أن هذا الرعب سيمنحني الرغبة في التخييم؟

– جذبها نحوه في وضع مريح وأبعد خصلة شعر كانت على جبينها.

– لم لا؟ لاشيء من هذا كله صحيح ، ستعشقين التخييم أنا متأكد من هذا.

– رأى في العينين الكبيرتين اللتين تحدقان به حزناً كبيراً.

– "إليزابيث" هل اخترت؟

– ابتسمت ابتسامة خجلة.

– نعم

– أجبرها على الجلوس بقربه بلطف.

– لم ينم الأطفال بعد . حتى يناموا. أريدك أن تبقي هادئة، لا تقولي شيئاً لا تلمسيني ولا تنظري إليَّ . أرجوك استمتعي بمشاهدة التلفاز ، وعليه أخذ منها جهاز التحكم وغير القناة. أفسدت نشرة أخبار المساء عليهما جوهما.

امتلأت عينا "إليزابيث" بالدموع الهادئة التي غبشت الصورة، ما الذي جرى؟ هل غير رأيه بالموضوع؟ كيف يمكنه أن يفضل المذيع الذي كعادته ينهال بفيض من الأخبار السيئة؟

انتهت الأخبار وتبعتها مجموعة من الإعلانات الصاخبة.

ألقت نظرة على ساعة التلفاز، أيقنت أنها حافظت على سكوتها المطلق مدة عشرين دقيقة. ينعم الطابق الأعلى بالهدوء. بدأ برنامج المنوعات التافه بشريط مسجل من سيمفونية ضاحكة. يبدو أن "دين" ماخوذا بتأمل الصور التي تعرض على الشاشة . لكنه في الحقيقة كان يفكر في "إليزابيث".

نهضت "إليزابيث" دون أن تتفوه بكلمة واتجهت نحو الباب، قفز هو مباغتاً .

– أين تذهبين؟

– المفاجأة الكبيرة التي اهتز بها صوته أربكت المرأة الشابة ، ماذا ينتظر منها ؟

– فردت وهي تهم بفتح الباب.

– إلى بيتي.

– لكن ... لماذا؟

– قالت وهي مشحونة بالغضب.

– لا أتحمل هذا البرنامج . إنه تافه جداً !

– اعترف مرتبكاً.

– لم أنتبه إليه.

– حقاً ؟ ماذا كنت تفعل إذن؟

– كنت أفكر فيك

– أوه ...

WWW.RWITY.COM مـــرمـــوريـــة

– أمعنت النظر في وجهه وأغلقت الباب.

دخلت إلى غرفته وهو ذهب ليتأكد من أن الأطفال نائمون. خلال ذلك أجالت هي نظرها في الغرفة، كومة من المجلات مكدسة على الطاولة وضعت فوقها نظارات يستعملها "دين" للقراءة، لم تكن الغرفة قد رممت بعد، أوراق الجدران كانت باهتة والستائر مهترئة. يتوسط الغرفة سرير واسع قديم منحوت ومغطى بملاءة متعددة الألوان مصنوعة باليد، كان جو الغرفة يعبق بشيء من السحر، إلى جانب السرير هناك خزانة ضخمة من خشب السنديان تكمل الأثاث، لاحظ "دين" دهشتها فابتسم.

– ما رأيك في السرير؟ لقد اشتريته بعد أسبوع من انتقالي، رأيت أنه يناسب الديكور تماماً.

– أعرف الآن أنك رومانسي، إنه رائع.

(٨)

مد "دين" يده إلى "إليزابيث" لكنه لم يجد سوى رائحتها المنعشة على الأغطية، فتح عينيه وتبين. لقد ذهبت. ضوء الصباح الشاحب ينبعث من خلال الستائر، تطلع إلى الأرضية فوجد أن ثيابها قد اختفت، دفن رأسه في المخدة ليجد رائحة العسل للمرأة الشابة وليتأكد من أنه لم يكن يحلم بأنه قضى ليلة رائعة تقاسماها معاً. لماذا رحلت؟

تذكر الصبية الثلاثة النائمين في غرفتهم غير البعيدة من هنا. دون شك هي لا تريد أن يعلم ابنها "آرون" أنها قضت ليلتها هنا، قفز من السرير، أخذ حماماً بارداً وخرج إليها بعد ربع ساعة وشعره المسرح إلى الوراء لا يزال رطباً. كان يصفر وهو يتجه نحو سردابها ودون أن يكلف نفسه عناء الطرق على الباب، دخل إلى المطبخ حيث كانت منهمكة في صنع القهوة.

– صباح الخير يا حبيبتي!

عند سماع صوته، أسقطت دلة القهوة من يدها، لقد استيقظت مبكرة قليلاً، وهي تنعم بالسعادة لقد أخطأت بجعل الرجل الذي أمضت ليلتها عنده يستيقظ مبكراً لكي يقول لها إنها حبه. لكن زقزقة العصافير ذكرتها أن الأطفال لن يتأخروا بالنهوض.

فارتدت ثيابها على عجل وتركت الغرفة على أطراف أصابعها، ما إن دخلت منزلها حتى أخذت حماماً بارداً ثم

WWW.REWITY.COM
مـــرمـــوريـــة

دخلت المطبخ لتصنع القهوة. خيل إليها أن ما حدث البارحة غير واقعي، لم تعد تعرف نفسها أهي "إليزابيث" التي كان زوجها قد تركها بحجة أنها أبرد من جبل جليدي؟

– عندما دخل "دين" كانت تصفر وهي تدير ظهرها ، صوت "دين" قد أفزعها.

– "دين" ، باسم السماء ، إنك تخيفني !

– قال وهو يعطيها قرطها الفضي.

– آسف عزيزتي لقد أتيت كي أعطيك هذا ، لقد نسيته في غرفتي

– ووضعه على الطاولة.

– آه ، نعم ، قرطي.

– ليس هذا فقط ـ وابتسامة خبيثة تعلو شفتيه ـ فأنت لم تقبليني قبلة الصباح. لم تختبر في حياتها شعوراً كهذا ، كيف يمكن لزوجها السابق "رون" أن يكون مذنباً معها هكذا ويقول لها ما قاله بأن رجلاً لن يكون سعيداً معها . مازالت تلك الكلمات سجينة ذاكرتها حتى الآن . سألته بصوت ممزوج بالخوف والغضب:

– ألا تجد هذا مملاً؟

عند رؤيته نظرة الازدراء في عينيها والتي ظنها موجهة له توقف عن تقبيلها مذهولاً .

– مملاً؟

لقد غضب ، فلم يحدث معه أن أحس مع امرأة كما أحس

معها وتقول الآن إن هذا ممل؟ تراجع خطوة وقد جرح كبرياؤه ، لقد اتهمته بأنه عشيق تافه كالحيوان الذي تسيره غريزته ، فاختار الهجوم المضاد.

– لقد أتيت من أجل هذا تماماً ـ قال هذا وهو يخطو خُطى واسعة نحو الباب ـ قلت في نفسي سأحاول مرة أخرى ، قد نستطيع أن نتوصل إلى شيء مقبول !

ليدعم حديثه صفق الباب بقوة واختفى ـ بعد مترين ندم على أقواله ، لكن بعد كل شئ لم تقل له امرأة من قبل هذا الكلام . تنهد تنهيدة عميقة وذهب باتجاه الفيلا الهادئة وأجبر نفسه على أن ينسى الألم العميق الذي رسمه على وجه جارته عند خطبته الطويلة.

بعد إخفاء عينيها المتورمتين من الدموع تحت نظارتها الشمسية ، خرجت "إليزابيث" مع "آرون" للتسليم الذي كان يحضره في كل جولة، يراقبها باختلاس نظرة إليها . أما بالنسبة لزبائنها فإنهم سيلاحظون أنها تقسر نفسها على الابتسام ولكن سيكتمون ملاحظاتهم جيداً عنها .

بعد الظهر أعطت لوحيدها الإذن بمرافقة "دين" وولديه إلى المسبح، لقد جاء "كيفن" ليطرح الأمر عليها ، على الأقل كان "دين" على قدر من اللباقة بأنه لم يستبعد "آرون" عن مجموعته. ما إن وضعت القالب في الفرن حتى وعدت نفسها بأن تقابل فعلته هذه بالمثل ، حتى ولو شطبت على موضوع دروس الأبوة.

كان "دين" يحاول وهو واقف على عمق متر ونصف في الماء أن يشرح لـ"آرون" للمرة الثالثة كيف يتنفس بين حركتي سباحة. في النهاية نفذت جهوده ، خلال ساعة توصل "آرون" إلى أن يسبح ستة أمتار بأسلوب لا يضاهي تقريباً.

– جيد جداً "آرون" بقليل من التدريب ستنجح بأن تحقق مسافة طويلة.

– قال "آرون" بفخر وهو يتنشف على طرف المسبح.

– شكراً سيدي.

– لا داعي لأن تشكرني فبعد كل ذلك أنت الذي يسبح وليس أنا . بالمناسبة .

– كيف هي والدتك اليوم؟

أجاب "آرون" وهو يهز كتفيه:

– بخير ، لكن . ممكن القول أنها تعاني من الحساسية.

– حساسية؟

– نعم جفونها حمراء ومنتفخة ، شكراً مرة أخرى سيد "ماكنزي".

قال هذا وهو ينهض لينضم إلى "كيفن وكيلي" اللذين أشارا إليه في الطرف الآخر من المسبح. تابع "دين" بعينيه الطفل الذي قفز في الماء قفزة رائعة تهيأ له أنه سمع قرقعة معدته ، كان يتوق إلى الطعام ليسترخي ، لكن مجموعة الصبية الذين كانوا يتخبطون في الماء لم يفعلوا سوى إغاظته مقدماً . استلقى على منشفته وهو يتنهد تنهيدة يأس واكتفى بمراقبة الأطفال ، بعد

كل شيء "إليزابيث" كان لديها الحق في أن تصاب بالحساسية.

دفعت "إليزابيث" الغطاء بقدمها وهي تتمتم بشتيمة ، فمنذ خمسة أيام لاشيء يسير نحو الأفضل. لقد تجاوزت الحرارة الثلاثين درجة ، الرطوبة قاتلة ويكاد يصبح الجو منعشاً في الليل، أما المروحة فبشفراتها الغليظة تجعل الجو رطباً بصعوبة.

كان "آرون" يحاول تجنب تلك الغريبة التي هي أمه ويقضي أيامه عند جيرانه ، كانت هي تنتظر الرجل الذي سيصلح لها منظم حرارة الفرن الذي تعطل البارحة . كان عليها أن تؤجل التسليم للزبائن الذين غضوا الطرف بسبب تقديرهم للحرارة الخانقة ، البارحة خرجت للتسوق وقد نسيت محفظتها.

كانت تتابع ذهاب وإياب "دين" من خلف ستائرها ، لقد اشترى مسبحاً صغيراً من البلاستيك لـ "روفو" . هزت رأسها. الرجل الذي كانت تحبه ، كان يطبخ دائما في "الميكروويف" لا تزال ذكرى تلك الليلة تراودها ، لم تعش أبداً لحظات رائعة كالتي عاشتها مع "دين" لكنه للأسف لم يقاسمها حماسها . ورفعت عينيها الدامعتين إلى السقف كيف، تستطيع أن تستنتج شيئاً مما حصل؟

شدت علي قبضتها وحثت نفسها علي شد عزيمتها ، فلن يكون هذا إلا لتوازن "آرون" . بعد كل شيء لقد علمتها دروس "دين" الأبوية أشياء كثيرة ، أما فيما يتعلق بالدرس الأخير فإنه بقي في ذاكرتها ، لقد بدت ابتسامة واهية على شفتيها ، لقد قررت الذهاب للتخييم مع ولدها الذي ـ من المحقق

أنه سيجن من الفرح عند سماعه الخبر . قد يذهبان إلى الجبال بدءاً من الاثنين ، ليست بحاجة إلى "دين" كي يمنحها شهادة في الأبوة . ارتاحت عندما اتخذت هذا القرار . استدارت في سريرها وأغمضت عينيها على أمل أن تجد النوم.

نزل "دين" الدرج بهدوء - عاجزاً عن النوم - وجلس على أعلى درجة من الشرفة . إنها المرة الثانية في الليل ، يتذكر المشهد الذي دار في مطبخ جارته ، لم تؤكد أن ليلته معها كانت مضجرة هي فقط طرحت السؤال . عيناه مثبتتان على النوافذ المعتمة للسرادق الأبيض. سأل نفسه ما الذي دفعها لأن تسأل هكذا سؤالاً غير لائق؟ هل أظهر نفسه سيئ السلوك؟ مندفعا؟ عندما تذكر ما جرى في غرفته هز رأسه، بالنسبة له كانت تجربة رائعة، فوجوده معها كان يشعره بأنه وجد ما يبحث عنه طوال حياته ، لكن لسوء الحظ ، فقد وجدته مملاً.

عملياً ، استقر "آرون" في كنف "دين" ، قبل يومين كان قد جاء ملطخاً بالوحل ويحمل بفخر سلحفاة فساعده "دين" في توضيب نفسه في الحمام في حين أن السلحفاة اتخذت المجلي مقراً لها . ثم ارتدى ثياب "كيلي" وكان قد اتصل ليسأل والدته إن كان بإمكانه العشاء في بيت جيرانه ، خلال هذا الوقت كان "دين" قد وضع ثياب "آرون" في آلة الغسيل . جفت بعد العشاء واستطاع "آرون" العودة إلى منزله وكان شيئاً لم يكن ، لكن ليس قبل أن يودع سلحفاته توديعاً رقيقاً ، كانت أمه تقول إنها لن تقبل بتاتاً الاحتفاظ بها . وقد رجا

أصدقاءه بألا يذكروا شيئاً عن وجودها.

في الغد هربت بوبا (الاسم الذي أعطاه لسلحفاته) من علبة للأحذية وقد قلب الصبية الثلاثة الحمام رأساً على عقب قبل أن يجدوها تحت قميص وسخ لـ"كيلي" كان قد رماه في زاوية الغرفة ، عندها أكد "آرون" - والدموع في عينيه - أن السلحفاة لم تكن سعيدة في علبة الأحذية، وافق "دين" في لحظة ضعف أن يترك السلحفاة على حريتها في الحمام، سيتوجب عليه من الآن فصاعداً ألا يمشي فوقها وهو يدخله.

كانت السلحفاة تقضي ساعات طويلة في المطبخ تلهو بالماء بصحبة "آرون" الذي كان يسارع للانضمام إليها طالما يسمح له الوقت بذلك.

روى له يوماً أن أمه كانت تعاني الحساسية وتبدأ (بارتكاب حماقات) على حد تعبيره البارحة. أوقعت من السيارة نصف دزينة أكواز عصير البرتقال وسالت على الطريق ،وذهب معها عناء وقت طويل من العمل . نعتت عاملاً بأنه مخبول لأنه سمح لنفسه بسؤالها عما إذا كانت قد وجدت إجازة السواقة خاصتها في ظرف جاهز.

تنهد "دين" وترك الشرفة ليذهب إلى مكتبه وبما أنه لا يستطيع النوم فليعمل على الأقل ليتقدم في عمله.

سألت "إليزابيث" ولدها بينما كانا يتناولان فطورهما :

- ما رأيك في أن نذهب بضعة أيام في عطلة؟

- فسألها دهشاً :

– مع من ؟

– معي !

– إلي أين؟

– يمكننا الذهاب للتخييم في جبال "فيرجينيا"

– لماذا؟

– قطبت حاجبيها.

– أو تسأل ! يبدو أنك لست متحمساً.

لم يكن يتجرأ أن يفصح لها عن حقيقة السلحفاة التي عهد بها إلى "دين"، لم يكن قد خيم من قبل في حياته وكان يرغب في ذلك كثيراً.

– هل سياتي معناً "كيفن" و "كيلي" و "دين" ؟

– أجابت وهي تحبس الدموع في عينيها:

– لا "آرون" لن يكون سوانا.

– سننام في خيمة ؟ نطبخ على نار من خشب؟

– نعم ، أنوي أن أستعير خيمة ابن "روزا".

– ومتى نرحل؟

– تاملت هيئة "آرون" الحائرة.

– الاثنين باكراً ، ألا ترغب في الذهاب؟

– نهض ليطبع قبلة على خد والدته.

– نعم بالطبع . ماما سأعلن النبأ لأصدقائي ، موافقة؟

رأته المرأة الشابة يخرج ، ثم نظرت إلى صحن "آرون" النصف ممتلئ لأول مرة منذ عدة سنين، لم يكلف نفسه حمل

الصحن إلى المجلى، وقد نهض عن الطاولة أيضاً دون أن يطلب الإذن منها . وذهب إلى جيرانه دون أن يكون مدعواً . تنهدت ونهضت لتخلي الطاولة.

عند خروجه من المكتب ، لاحظ "دين" أن "آرون" جالس على كنبة والسلحفاة علي ركبتيه .

– مرحباً "آرون".

عليه أن يكون أعمى لكي لا يلاحظ هيئة الصبي الحائرة فجلس بقربه.

– هل هناك شيء يقلقك يا صغيري؟

– هل تستطيع أن تعتني بـ "بوبا" عدة أيام في غيابي؟

– لماذا؟

– بدأت ماما بطرح أفكار غريبة.

– خفق قلب "دين" قوياً.

– كيف ذلك؟

– سنذهب للتخييم.

– مع من؟

– نحن الاثنان فقط.

– تنهد "دين" بعمق . فقد بدأ الوضع يتعقد.

– هل سبق لها وذهبت للتخييم؟

– طبعاً لا ! لم تتجرأ حتى على الجلوس على الشرفة مساءً بسبب البعوض . ولم تكن تدعني أتفرج على أفلام الحيوانات السنة الماضية. كانت تخاف من أن تسبب لي الكوابيس !

فهم "دين" مباشرة ما الذي كان يجري . لقد قررت إجراء الاختبار النهائي الذي كان قد أشار إليه الليلة الفائتة بدونه . على الأقل هذا ما كانت تفكر فيه لأنه لم تكن لديه النية لأن تسعى وراء مخاطر لا فائدة منها .

– متى تنطلقان؟

– الاثنين صباحاً .

– هل تعرف إلى أين ستذهبان؟

– إلى جبال "فيرجينيا" .

– إلى البلوريدج؟

– نعم أعتقد أنه شيء من هذا القبيل .

ارتعد "دين" فالمنطقة موحشة للغاية ومليئة بالدببة . عادت إلى ذاكرته مشاهد فيلم الليلة الفائتة . أقسر نفسه على الابتسام ومرر يده على شعر "آرون" .

– لا تقلق يا "آرون" ، ساعتني مع ولدي بـ "بوبا" هل تعرف كم من الوقت ستغيبان؟

– هز "آرون" رأسه .

– ستسلكان طريق عرف الديك؟

– ما هذا ؟

– طريق رائع يجتاز كل المنطقة . يُرى هناك عدة أماكن للتخييم، إذا كان هذا هو المكان فإني أستطيع أن أعطيكما معلومات لأنني أعرف المنطقة جيداً .

– حسناً سيد "ماكنزي" سأحاول أن أعرف إذا كان هذا هو

المكان الذي سنذهب إليه .

– شعر "دين" أنه قادر قليلاً على الكذب على الطفل ، لكن في الظروف البائسة تلك حيث هو فالغاية تبرر الوسيلة ، الاثنين القادم إذان . لن يكون لديه لحظة ليضيعها .

– هيه .... بابا ! هل أستطيع أن أطرح عليك سؤالاً؟

– عقد "دين" حاجبيه وثبت نظره على "كيفن" .

– طبعاً يا كبيري .

– أتحب السيدة "لانكاستر" .

– بدرت من أبيه ابتسامة .

– ماذا ستقول إذا قلت لك نعم؟

– أجد هذا جيداً .

– حتى لو كنت ساقول لك إنني أحبها كثيراً؟

– تأمل الطفل والده كثيراً وهو يفكر .

– هل تريد القول إلى درجة تقبيلها

– نعم ـ حاول ألا يضحك ـ شيء من هذا القبيل .

– ضحك "كيفن" حتى أذنيه .

– هذا رائع ، كان العم "شين" دائماً يقول إن الرجل بحاجة إلى امرأة . "كيلي" وأنا بدأنا نقلق عليك .

– متى قال لكما العم "شين" هذا؟

– يوم انتقلنا .

– و .... ماذا أيضاً؟

– قال إن الأمور تبدو جيدة وبأن هناك فنيصة مناسبة في

www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

المنطقة. لم نفهم جيداً . وخاصة أنك لم تذهب إلى الصيد أبداً.

– مرر "دين" يده على شعره وهز رأسه.

– أسعداني بأن تنسيا ما قاله لكما العم "شين"، حسناً ؟ وأنت ما رأيك بـ "آرون" والسيدة "لانكاستر"؟

– "آرون" ظريف . ولو أنه أصغر مني بعامين أما السيدة "لانكاستر" فهي رائعة . عندما قلت لها إنني أحب اللوز وعدتني أن تصنع منه في قالب الشوكولاتة القادم.

– مر طيف من الشك على نظرة "كيفن".

– إذا كنت تحبها كل هذا الحب فلماذا إذن لم تعد تأتي عندنا أبداً؟

أطرق "دين" وهو يمرر يده على شعر ولده .

– إنها مسألة سوء تفاهم ، لكن لا تقلق ستصلح الأمور بسرعة.

شعر أن الوقت صار ملائماً لأن يتراجع قبل أن يضطر للإجابة عن أسئلة حرجة فترك المطبخ.

نزعت "إليزابيث" نظارتها الشمسية لتنظر إلى أرض التخييم، كانت الأرض العشبية مفروشة بالأوراق الميتة والأغصان الجافة وكان هناك في الظل طاولة مصنوعة من شجرة مقطوعة يتجاوز عمرها المائة عام ، ليست بعيدة عن كومة الرماد المتطاير حيث كان المخيمون قد تركوا وراءهم آثاراً تدل على تواجدهم خلال عام السياحة الفائت . وباعتبار أن الغابة

الكثيفة كانت تطوق المنطقة ، لم تستطع "إليزابيث" أن تخفف من وطأة خوفها. لم تسمع صوتاً واحداً. فكرت أن تعود لتسأل الفتاة غير المكترثة التي كانت قد التقت بها في غرفتها الخشبية عند مدخل الملكية لتسألها إذا كان بالإمكان النزول في مكان قليل الانعزال،لكنها غيرت رأيها ، فحسب الخريطة التي أطلعتها عليها، هناك أماكن متتالية خلف مجموعة كبيرة وكثيفة من الأشجار على اليمين على بعد خمسين متراً فقط ، ففي حال ملاقاتها أية مشكلة ، ليس عليها إلا أن تصرخ ، ليسارع المخيمون في الجوار لنجدتها.

– إذن ؟ ما رأيك؟

– إنه مذهل ماما ، هل تعتقدين أن حارس الصيد كان يريدنا أن نرحل بقوله لنا إنه توجد دببة في المنطقة؟

فأجابت بعجلة وهي تدير السيارة لتخرج منها الخيمة:

بالطبع ، تعال وساعدني في نصب الخيمة ثم سنهب للبحث عن خشب جاف من أجل العشاء. كان الصندوق معبأ على آخره . أخرجت كرسيين مطويين وكيسين للنوم وحقيبة مليئة بالكؤوس والصحون العميقة والقصعات وكيساً ضخماً من المؤونة وموقداً وفانوس نفط وصفيحة وقود ، ساعدها "آرون" على بسط الغطاء وورق اللعب والسردين.

بعد نصف ساعة ، وللمحاولة الثالثة ، قررا متفقين أن الخيمة ثبتت بشكل جيد مع أنها تميل قليلاً نحو اليسار.

بعد أن مسحت يديها ببنطلون الجينز ، فتحت الباب الخلفي

للسيارة وسحبت منها حقيبتي ظهر كبيرتين ، ومثلّجة معباة حتى الثمالة بالخبز المثلج كانت قد اشترتها من بازار المخيم ، أخرجت منها علبة عصير وأعطتها لـ"آرون" ثم جلست قرب الخيمة لتتصفح كتاباً عن أفاعي أمريكا ، بعد عشرين دقيقة من القراءة تبين لها أن المواجهة المثلى للأفاعي هي الهروب منها وكانها الطاعون سواء أكانت سامة أم لا ، اقترحت وهي تضع كتابها جانباً:

– ما رأيك أن نذهب للبحث عن خشب؟

– حسناً ماما . سأجلب الفأس.

– فابتسمت وهي تراه يركض باتجاه السيارة وقالت له:

– هذا غير ضروري ، يكفي أن تأخذ السلطور فقط ، سأجلب أنا الكاميرا.

بعد نصف ساعة لاحظت "إليزابيث" أنهما قد جمعا حطباً يكفي لأسبوع كامل ، بعد أن جمعت رزمة كبيرة قالت :

– أظن أن هذا يكفي "آرون" فلنعد.

– بعد أن أجالت نظرة مترددة حول المكان ، ذهبت نحو اليسار.

– إلى أين أنت ذاهبة ماما ؟

– إلى المخيم طبعاً.

– ليس هذا هو الاتجاه الصحيح.

استدارت نحوه ، ثم نظرت إلى الغابة التي تطوقهما ، فالمشهد ذاته في كل مكان ، ندمت أنها نسيت بوصلتها في

السيارة لكنها قسرت نفسها على ألا تظهر قلقها كي لا تخيف "آرون" .

– بم أنك واثق بنفسك . ما رأيك في أن تريني الطريق؟

دون تردد ، مد ذراعه نحو اليمين مبتدئاً طريقه بخطى واسعة.

– من هنا ماما .

هزت كتفيها وقررت أن تتبعه ، تعثرت بحجر ووقعت وشتمت ، بعد ربع ساعة رأيا ظبيين وصغيرهما في أكمة صغيرة، على بعد ثلاثين متراً ودون إحداث ضجة ، وضعت "إليزابيث" حملها والتقطت صورة فهرّب ضوء الكاميرا الحيوانات الثلاثة، فقال "آرون" وهو متكدر لاختفائها.

– كم هي جميلة !

– لم أكن أقصد إخافتها ، لكنني متأكدة من أننا سنرى حيوانات أخرى ، هيا "آرون" فموعد العشاء قد اقترب وبعده ستأخذ حماماً منعشاً ، ومن ثم الذهاب إلى السرير ، غداً سنستيقظ باكراً ثم نذهب في نزهة حول أماكن اصطياد الحيوانات ـ كما أخبرها "دين" . عادا إلى الخيمة بعد عشرين دقيقة وهما يحملان الخشب . اهتمت "إليزابيث" بشجاعة بتقطيع الخشب إلى حزم متساوية لكنها توقفت حين بدأ البعوض يلسعها . بدأ يشكل في كفها فقاعة غير موجودة عادة في يد الحطاب . هرعت إلى أدوات الطبابة . بعد خمس دقائق كانت هي وابنها مدهونين من قمة رأسيهما و حتى أخامص

أقدامهما بمعجون ضد البعوض ، ثم جلست على الأرض ، بدأ التعب يظهر عليهما ، لقد نهضت في الخامسة صباحاً وقادت دون توقف ست ساعات ، ثم بدأت تصلي كي يهبط الليل سريعاً حتى تستطيع أن ترتمي في كيس النوم الدافئ.

– إنه موعد العشاء ماما، لقد بدأت أشعر بالجوع.

– حسناً صغيري ، سأهيئ الموقد.

وضعت الكاميرا على طاولة الرحلة ، لقد أكد لها ابن "روزا" أن استعماله سهل جداً لدرجة أن طفلاً صغيراً يمكنه استخدامه، اتبعت تعليماته كما في الرسالة لكن الهواء قد أطفأ أربعة أعواد على التوالي حارقاً أصابعها ، في محاولتها الرابعة اندلعت شعلة ضخمة من الموقد، صرخت و تراجعت. أوقعت كومة الحطب التي كانت قد كدستها بحماس ووقعت بطولها على الخيمة التي لم تتحمل ثقلها وتطايرت أوراق اللعب بخفة جلست على النسيج المشعث وتأملت ببلاهة الشعلة الصغيرة التي أصبحت طبيعية تتراقص حول الموقد المتوقد . في هذه اللحظة توقفت سيارة "دين" في الأكمة الصغيرة . لقد جاء ليتأكد من أن كل شيء كان يسير بشكل طبيعي . شعر أن شعرها قد انتصب ، قفز من العربة وركض نحوها وساعدها على النهوض.

– هل أنت بخير ؟ لم تجرحي؟

ارتمت بين ذراعيه وعيناها مغرورقتان بالدموع ولفظت اسمه بشغف.

(٩)

ساد بينهما صمت مطلق ، عندما استعادت وعيها طرحت عليه السؤال الذي كان يؤرقها منذ عدة أيام .

– "دين" ... هل تجدني مملة؟

أرجع "دين" رأسه إلى الوراء وانفجر ضاحكاً.

"مملة" ؟ أنت مملة؟ إنك الأفضل ! كلما التقيت بك يولد حدث غير قابل للتصديق ! كيف أجدك مملة؟

– ليس هذا ما أقصد .

– بحركة لطيفة رفع ذقنها وثبت عليها عينيه الخضراوين.

– أنا أحبك يا "إليزابيث" ، سنتكلم عندما يخلد الأطفال للنوم، فلدينا الكثير لنقوله. مداخلة "دين" ذكرتها بأنهما ليسا وحدهما . انتبهت إلى "كيفن وكيلي" و "آرون" الذين كانوا يتراكضون عند الفسحة وهم يتصايحون بفرح . ابتسمت عندما سمعت ولدها يروي لأصدقائه كيف أنهما رأيا أيليتين وظبياً صغيراً ثم سألت "دين".

– ماذا تفعل هنا؟

– جئت أنقذ حياتك ، بالإضافة إلى أنه يجب ألا تنسي أني ممتحنك، كيف يمكنني أن أعطيك شهادة دون أن أرى امتحانك النهائي؟ – كنت أمل أن أفشل .

– هذا ممنوع منعاً باتاً ويعني أنك ستستأجرينني لغرض ما.

– وكيف ذلك ؟ وهي تبتسم.

– راق صوته ونظر إلى الصبية وقال.

– حسناً ، يفضل أن أحضر العشاء.

كان سيبدو المخيم منذ الآن فصاعداً حقل معركة . كم من الأشياء المطروحة حول كتلة المخيم تدل علي ما يسمى بالخيمة . في ذاك الصباح وحوالي السادسة ، كان قد ترصد المرأة الشابة عندما كانت تحمّل سيارتها ، مختبئاً وراء ستائر غرفته ، كان سينفجر ضاحكاً عندما رآها مجبرة على أن تجلس على صندوق السيارة لمحاولة إغلاقه قبل أن تكدس في المقعد الخلفي كل أنواع الحمولة .

علي الرغم من سذاجتها ، لقد كانت شجاعة للذهاب إلى التخييم وحدها مع ولدها في منطقة موحشة .

جبلية ، بعد انطلاقها هرع إلى ولديه ليوقظهما ويخبرهما أنهم سيذهبون للتخييم هم أيضاً.

– هل كنت تقصد مفاجاتي؟

– وكيف ! لكن أولاً ساعلمك كيف تجعلين الموقد يعمل . سترين أنها مسالة مهارة . أكمل وهو يسحبها من يدها نحو الطاولة.

– بالمناسبة ما الوجبة ؟

تذمر "كيفن" .

– إني أموت من الجوع ! ماذا سنأكل؟

فاجاب "دين" وهو يضحك: أنت جائع دوماً.

– لك أن تختار بين الهوت دوج "السجق" أو يخنة الفاصوليا باللحم.

اختار الأطفال بالإجماع الهوت دوج "السجق" في حين أن "دين" فضل يخنة الفاصوليا . هيأت "إليزابيث" الطاولة بمساعدة "كيفن" واقترح "دين" أن تخزن المؤونة في سيارتها كي لا تكون في متناول الدببة ثم أشعل الموقد . نصب خيمته وثبت خيمة "إليزابيث" ، عندما جهز العشاء جلس الجميع إلى طاولة الخشب.

– إيه ، بابا هل يستطيع "آرون" أن ينام في خيمتنا؟

– لا أرى مانعاً . لكن ألا ترون أن "إليزابيث" ستشعر بالوحدة؟

– ليس لك إلا أن تنام معها . بابا . اقترح "كيلي" هذا ببراءة الطفل ذي الأعوام السبعة.

– كادت "إليزابيث" أن تختنق ثم انفجرت ضاحكة.

– لن تضعوني على الباب أيها الفتيان؟

– لا بابا لكننا لسنا بحاجة إليك. أقسم لك.

– لم تعر المرأة الشابة اهتماماً للمنحنى الذي يسلكه الحديث وركزت اهتمامها على نية "دين"

– في هذه الحالة سيكون الوضع هكذا : أنتم الثلاثة في خيمتي، أنا في خيمة "إليزابيث" و"إليزابيث" على مقعد سيارة الشحن ، ما رأيكم؟

– رائع !

– موافقون.

– ممتاز.

– "إليزابيث"؟

كانت عينا المرأة الشابة ـ وكما أمل ـ تشعان بالحب وفقدان الصبر، أخيراً ستسنح لهما الفرصة أن يبقيا وحيدين.

– هذا يبدو لي أفضل حل.

بعد العشاء ـ تكلم "دين" عن موقع صيد الحيوانات الذي سيعودونه في الغد، ثم شارك الجميع في الجلي. هبط الليل تماماً عندما اتجه الجميع إلى الحمام.

بعد عشرين دقيقة، خرجت "إليزابيث" مرتجفة من حمامها المسائي، شعرها ما يزال رطباً.

ابتسمت عندما رأت "دين" ينتظرها جالساً عند جذع الشجرة.

– ليس لديهم ماء ساخن.

– بالفعل لقد رافقت الأطفال. آمل ألا يكونوا يقومون الآن بارتكاب حماقات.

– أستطيع أن أصنع لهم شوكولاتة ساخنة.

– يمكن القول إنك تمكنت من ترتيب محتويات مطبخك في سيارتك.

– بدوني، لا أعرف ماذا يمكنكم أن تأكلوا هذا المساء.

لا تنس هذا عندما عادا إلى المخيم، كان الأطفال قد آووا داخل أكياس النوم. كانوا يلعبون بمصابيح الجيب. جلست "إليزابيث" وصديقها أمام النار الخفيفة.

– هل تعتقد أنهم في أمان؟

– استدار "دين" نحو الخيمة التي ينبعث منها قهقهات ضحك وابتسم

– لا يتجرأ أي دب سليم العقل من أن يأخذ ذلك منهم.

– إني جادة يا "دين". قالت ذلك وهي تفكر في المشاهد المخيفة للفيلم الذي رأته تلك الليلة.

– أعرف ذلك، كوني مطمئنة. هذا يلزم دب جائع وخيمة مملوءة بالمؤونة حتى يحصل على شيء. من ثم إني ساكون على بعد خمسة أمتار والدببة ليست معروفة برصانتها. عندما شعر أنها ارتاحت نهض.

– ساعيد إشعال النار وأسخن القهوة، ابقي أنت قرب الدخان فهو يبعد البعوض اقتربت "إليزابيث" من الشعلة وشاهدت صديقها يعبئ القهوة في إناء محدودب وأسود يبدو أن لديه الكثير منه، بعد عدة لحظات كانت تستمتع برشف القهوة اللذيذة التي أعطاها منها لتتذوقها ثم رأته ـ مفتونة ـ يضيف عدة أغصان إلى الكومة ثم جلس.

– لدي انطباع بأننا أضعنا نحن الاثنان خيط قصتنا، على كل، كل شيء كان واضحاً حتى لفظت كلمة "ممل" لم أعرف هل كنت تتكلمين عني أو عنك أو عنا نحن الاثنين، قبل أن تقولي أي شيء أضاف في عجلة عندما شعر أنني جاهزة للإجابة. أتمسك في تقديم اعتذاري للملاحظة الغبية التي قلتها في مطبخك. ذاك اليوم كنت هائجاً. عجزت عن كبح

جماح غضبي فالمرأة التي أحبها والتي قضيت معها ليلة رائعة تنعتني بالممل ، على الأقل هذا ما فهمته بسرعة، الآن لست متأكداً من شيء، أحب أن تشرحي لي ماذا حصل منذ البداية.

حدقت "إليزابيث" إلى الشعلة المتراقصة لكي تستمد منها الشجاعة لتفتح له قلبها.

– كان عمري إحدى وعشرين سنة عندما التقيت بـ "رون" ، كان جميلاً ، جذاباً وتحبه النساء، تزوجنا بعد خمسة أشهر . كنت عذراء وهذا أكثر ما جذبه إلي ، في الأسبوع الأول كان رائعاً، كان يقول أنه يتفهم خجلي ، لكن الأمور بدأت تفسد في نهاية الأسبوع الثاني . عند ابتداء الشهر لم يكن شيء يسير حسناً، فلقد بدأ يغضب مني.

– كيف ذلك؟

– أنه يقول إنني امرأة باردة ومثل هذه الأشياء .... ثم بدأ ينام خارج المنزل عدة مرات في الأسبوع. ثم وجدت نفسي حاملاً.... كم كنت غبية عندما أقنعت نفسي بأن هذا سيغير شيئاً ما . فعلاً هذا غير شيئاً لكن ليس للأفضل لما كنت أظن . لم يعد "رون" إلى المنزل . كنت أمضي ست ساعات في اليوم أبكي في الحمام بشكل عام. استمر زواجنا ستة أشهر، وفي يوم مشرق ، عاد مع فتاة شقراء تكاد تكون قد أنهت الثانوية ليعلن لي بأنه يريد الطلاق "أنت مملة أكثر من رسوم متحركة لطفل في بداية عمره" ، هكذا قال لي ـ رشفت فنجان القهوة

قبل أن تتابع ـ في ذاك اليوم عندما دخلت إلى مطبخي. استرجعت كل ذلك ، من أجل هذا سألتك إذا كنت مضجرة بالنسبة لك . كنت مكدرة لأنك فهمتني بشكل خاطئ . لم أقصد أن أجرحك.

– نظر "دين" إليها متأثراً بإخلاصها : أما يزال ذلك القذر حياً؟

– لم أعرف عنه شيئاً ولا أريد أن أعرف ـ بضحكة صغيرة ـ لا خبر لدي عنه منذ ثماني سنين.

– أحبك "إليزابيث لانكاستر"

ألقت نظرة على خيمة الصبية المغرقة في الهدوء ، ثم نهضت وجمعت فناجين القهوة وسكبتها على الجذوة ثم طوت كرسيها وأسندته على شجرة. كان "دين" يراقبها وهو مفتون بها ، ثم دخلا الخيمة معا.

– بابا ، البيض الذي صنعته غريب.

– الذي تصنعه أمي ليس هكذا .

تأمل "دين" الكتلة التي تسبح داخل المقلاة وتقبل مكرهاً أن بيضه في هيئة مزرية . أجال نظره نحو الشاحنة حيث لا حركة هناك أبداً فـ "إليزابيث" لا تزال نائمة.

– هل أحضرت أمك حبوباً؟ نعم سيدي.

ابتسم "دين" نادني "دين" فلدي انطباع بأني عجوز.

– حسناً ، سيدي "دين" سأذهب للبحث عن الحبوب.

كانوا تقريباً قد أنهوا فطورهم عندما نزلت "إليزابيث" من

الشاحنة، شعرها مشعث الشمس التي كانت تشرق من خلف الجبال جعلتها تغمض عينيها ، اقتربت منهم بخطى مترددة ، أخذت دون أن تتفوه بكلمة فنجان قهوة ، ابتسم "دين" وهو يراها تشرب وتخدم نفسها، ثم تأمل قصعة الحبوب بهيئة مرتابة.

– ما هنالك ؟ ألم تحب الحبوب ؟ إنها ممتازة للصحة.

– يقال إنها غذاء القوارض . ساعقد معك صفقة إذا أحضرت فطوراً جيداً، سأذهب وأحضر الخشب للعشاء.

– هذا يكفي، لم أعد أستطيع أن أمشي أكثر ، ليس عليكم إلا أن تكملوا طريقكم بدوني. كل ما أطلبه منكم هو أن تلموا عظامي عند طريق العودة.

استدار "دين" ورآها تجلس على أقرب جذر ـ كانت تلهث وقد احمرت وجنتاها ، فالنزهة كانت أكثر مشقة مما اعتقدته ، لكن الصبية كانوا قد أصروا أن يكملوها ولم يشتكوا مرة واحدة من التعب.

– هيا تعالي ، لقد وصلنا تقريباً.

– تقول لي الشيء ذاته منذ ٣كم .

– يبدو لي بالأحرى أنها ثلاثمائة متر. أضاف دون أن يفقد حس الفكاهة . أنت راغبة في مشاهدة الصقر أليس كذلك ؟ من أجل هذا أحضرت الكاميرا؟

– رفعت "إليزابيث" نظرها نحو السماء التي تمتد بين قمم أشجار الصنوبر . رأت طائراً يطير في حلقات .

– دون إهانة ، أعتقد أنه من النسور . برأيي أنهم ينتظروننا حتى نموت من العطش ويفترسوننا .

هز "دين" رأسه.

– هيا أكملوا أنتم .قالت بلهجة مأساوية : أنا مستعدة للتضحية بحياتي حتى لا أؤخركم عن المشي صاحبت ذراعاها على صدرها وتركت نفسها تسقط بخفة على سجادة من العشب الطري.

– ابتسم "دين" "لآرون" قبل أن يمشي نحوها.

– لا تقلق ، في الارتفاعات ندرة الهواء تسبب أحياناً حركات غريبة لبعض الناس

بعد ثلاثة أرباع الساعة ، جلس الصيادون الخمسة على قمة الجبل ليستمتعوا بالمشهد الرائع أمامهم ، فالوادي يمتد عدة مئات من الأمتار إلى الأسفل صانعاً من الحقول لوحة موزاييك . المزارع والطرقات مجوفة ومعرجة ، ندف الغيوم التي تمتد بكسل في اللازور تبدو وكأنها ستسقط في اليد ، كل ما حولهم ، مع الجبال الأخرى يشكل سيركاً مهيباً ، عدة صقور تسرح بشكل دائري. استدار "دين" نحو "إليزابيث" التي اضطر إلى حملها خلال صعودهم ، وقد بدت مفتونة بالمنظر .

–إذن هل مازلت نادمة على مجيئك؟

وضعت كاميرتها.

– لا "دين" شكراً لك لأنك اصطحبتنا إلى هنا ، هذا رائع ،

تظن أنك في الجنة .

– تماماً أحضرتك إلى الجنة لأطرح عليك سؤالي.

– خفق قلب المرأة الشابة كالقنبلة.

– أي سؤال ؟ وقد وضعت يديها على يدي رفيقها.

– تنفس بعمق.

– أتقبلين الزواج بي ؟

(١٠)

– زوجتك؟

– نعم . ـ أجاب وبريق فرح يلمع في عينيه ـ أحب أن نقفز قفزة كبيرة، باختصار أن نتزوج .

– يا للسماء...

– قال مازحاً:

– ليس هذا ما يجب أن يقال ، عليك أن تقولي : "أوه.... نعم حبيبي" وترتمين بين ذراعي وأنت تبكين. نظرت "إليزابيث" إلى يديها المرتجفتين ثم نظرت إلى الأولاد ، لقد أنهوا السندوتشات وهجموا على مكعب الشوكولاتة شعرت .بداخلها بمزيج من الحب والفرح والحماس ورفعت عينيها وابتسمت لـ "دين" ، كادت أن ترد عليه لولا أن نقاشاً علا بين الأطفال حول طريقة حياة الصقور.

– والأولاد؟

– تامل "دين" مبتسماً المتشاحنين الثلاثة وتنهد .

– أعتقد أنه علينا الاحتفاظ بهم.

– أجابت بفرح.

– بالفعل ألا تعتقد أنه علينا أن نسألهم، ما رأيك؟

– لا، اسمعي "إليزابيث" ، أنا أحبك وأنت تحبينني والأطفال متفاهمون تماماً، كل شيء ممتاز ، عندما نعلن لهم زواجنا سيطيرون فرحاً . عاد إلى حديثه ومسح خدها.

WWW.REWITY.COM

– هل تتزوجينني؟

– كان هناك في عينيها الحب والفرح والارتياب أيضاً، سألها بحنان.

– أنت قلقة بشأن "كيفن وكيلي" ؟

– طبعاً لا . فأي امرأة ستكون فخوراً بهؤلاء الأطفال.

– هل تريدين أن تصبحي أمهما؟

– فقط إذا أراداني.

– أتعتقدين أنني قد لا أصلح لأن أكون أباً جيداً لـ "آرون" ؟

– لم يخطر هذا في بالي . ما يشغلنا هو أننا نتخذ قراراً نحن الاثنان وهو يتعلق بخمسة أشخاص .

– أفهم حبيبتي ، فهذه العطلة هي فرصة رائعة لأثبت لك بأننا نشكل عائلة سعيدة، أريد منك أن تعطيني ردك قبل نهاية هذه الأيام الأربعة.

– شكراً.

– على ماذا؟

– على المهلة وعلى تفهمك ، سأقدر هذا . قولوا أيها الفتيان هل تركتم لنا شيئاً نأكله؟

كان "دين" مشرقاً فيوم الجمعة القادم ستوافق "إليزابيث" بالتأكيد على الزواج منه فالعطلة تبشر بالخير ، إنه متأكد تماماً بأنْ لاغيوم في الأفق تعكر عليه هناءه.

– "دين" ، هذه الغيوم لا تقول لي شيئاً مشجعاً.

– رفع رأسه نحو السماء السوداء وهز رأسه.

– نحن مهددون بأن نتبلل ، يفضل أن نتناول عشاءنا بسرعة ثم ندخل الخيمة ونلعب الورق ، وافق الصبية بحماس ، متعبون من السير الطويل طوال اليوم . فتحت "إليزابيث" علبة كبيرة من الرافيولي وسخنتها ،

– كانوا قد انتهوا تواً من الجلي عندما سقطت أول قطرة كبيرة على العشب فاجتمع المخيمون الخمسة تحت خيمة "دين" التي كانت الأكبر للعب الورق على ضوء فانوس النفط الذي يرمي على القماش ظلالاً شجية ، في الخارج كان المطر ينهمر على الغطاء دون هوادة.

– نحن منهكون ، حان الوقت للذهاب إلى النوم، غداً أنا متأكد من أنه سيكون جميلاً، سنقوم بنزهة أخرى.

نهض وساعد الصبية على الانسلال داخل أكياس النوم ثم خرج مع "إليزابيث" وركضا إلى الخيمة المجاورة كان كل شيء في الداخل مبللاً بما فيه كيس النوم، فقد نسيا أن يغلقاه.

– ليست هناك مشكلة . أنت تنامين في الشاحنة وأنا أدبر نفسي في المقعد الخلفي لسيارتك .

– لا . وهي ترفع كيس النوم المبلل.

رفع "دين" المصباح ليرى وجهها بشكل أفضل.

– لم لا؟

– لأننا لا نستطيع أن نترك الأطفال وحدهم في الخارج ، فمن الممكن أن يهاجمهم دب ونحن لا ندري ماذا أيضاً؟

– فكر "دين" ، فاحتمال أن يهاجمهم دب غير وارد إطلاقاً،

لكن ليأخذ بالحسبان قوة العاصفة فهي محققة.

– حسناً أنا سأنام معهم ، مع أن هذا سيمنعني من النوم بقربك ، لكن ساكون صبوراً بما أني ساكون معك طوال الحياة.

في حوالي الساعة الثانية صباحاً ، اشتد هطول المطر على الخيمة حيث ينام "دين" والصبية. التجأ الأطفال الثلاثة إلى الشاحنة في حين استقر "دين" في المقعد الخلفي لسيارة "إليزابيث".

كانت لا تزال تهطل في الثامنة ، عندما عاد إلى الشاحنة استقر وراء المقود ، في الخلف أربعة أشكال موضوعون بشكل عشوائي في أكياس النوم. كان ضباب كثيف يعلو الجبال ، انطلق "دين" وقاد العربة ببطء حتى مدخل حمامات المخيم ، بعد أن أيقظ الصبية ، وأرسلهم إلى الحمام رفع بلطف قمة طرفي كيس نوم "إليزابيث".

– استيقظي أيتها النائمة الجميلة.

– تنهدت ، فتحت عينيها واتكأت على كوعها وتمتمت:

– أين أنا؟

– في مخيم "فيرجينيا".

– ماذا تريد في مقابل أن تتركني نائمة ساعة أخرى؟

– في الوقت الحاضر لا تستطيعين إعطائي ما أريد، سيعود الأطفال بين لحظة وأخرى . لقد أرسلتهم إلى الحمام ليبدلوا ثيابهم . لها وجد قطعة ثياب ، لا عليك سوى أن تلبسي

بلوفري ، لم أجد منها في حقيبتك ، أظن أنك لم تجلبي بعضاً من الثياب السميكة.

– نحن في تموز (يوليو) لم أتوقع أن يصبح الجو بارداً.

– ارتدي ثيابك، ساحضر القهوة.

– أنت ملاك.

– تذكري ذلك يوم الجمعة عندما تعلنين جوابك.

كان "دين" قد استاجر بيتين صغيرين من الخشب متجاورين وقريبين من مدخل المخيم لليومين الباقيين من المخيم ، شعرت "إليزابيث" بالارتياح وهي تدخلهما.

– هل أنا مخطئ؟

– على العكس تماماً ، لقد بدأت أحلم بسرير مريح.

– قبل أن تحاولي ، ما رأيك بالذهاب إلى المدينة لتنشيف ثيابنا المبللة بالمغسلة الآلية .

– فكرة رائعة ، نذهب إلى لوراي؟

– لماذا لوراي؟

– يقال إن هناك مغارات رائعة نستطيع زيارتها بما أنها تمطر.

بعد سبع ساعات ، دخلت "إليزابيث" غرفتها الصغيرة وهي راضية، سمعت صراخ الصبية الذين يخلعون ثيابهم بفوضى مع "دين" . اليوم على الأقل ستأخذ حماماً ساخناً، كانت قدماها متسلختين من التعب، أخذت من حقيبتها بنطلوناً لونه كاكي وصداراً أحمر دون كمين ، كان "دين" قد وعدهم أن يأخذهم للعشاء في مطعم المخيم للاحتفال بنهاية المطر حسب التنبؤات،

فإن الطقس سيكون مشرقاً في اليومين القادمين. كانت قد انتهت من تجفيف شعرها عندما دق الباب.

– ادخل.

دخل الصبية الثلاثة مرتدين الجينز وقمصاناً نظيفة ووراءهم "دين" كان مرتدياً بنطلوناً رمادياً وقميصاً مقلماً بالأبيض والأخضر وقد حلق ذقنه لتوه.

– هيا، قبل ألا يبقى شيء لنأكله، فإني جائع كذئب.

المطعم الصغير كان بسيطاً ريفياً لكن الطعام كان ممتازاً، كانوا يتكلمون عن كل شيء ماعدا "كيلي" الذي بقي هادئاً بشكل غريب، عندما انتبه إليه والده أكد له أن كل شيء بخير. خلد الأولاد إلى النوم في الساعة العاشرة تقريباً، سأل "كيلي" والده وهو جالس على سرير "آرون".

– بابا، ألا تريد النوم؟

– ليس الآن يا صغيري، سأشاهد التليفزيون قليلاً.

– لماذا لا تشاهده هنا؟

– هذا غير وارد إطلاقاً فأنا أعرفكم أيها الفتيان، أنتم بحاجة للنوم "إليزابيث" هل تمانعين إذا شاهدت التليفزيون في غرفتك؟

– حسناً، إذا لم تبق طويلاً، فأنا متعبة.

– اطمئني فلديَّ النية لأن أنام مبكراً، غداً سأصطحبكم في نزهة ٨كم، أعرف شلالات ماء ستنشدون عنها أخباراً، تمتمت "إليزابيث" بشيء جعله يبتسم.

– سأترك الباب مفتوحاً إذا كنتم في حاجة إليَّ. حسناً؟

لكن لا تفكروا في الشخير.

قهقه الثلاثة تحت الغطاء، تمنى "دين" و "إليزابيث" لهم ليلة سعيدة، أطفأ الأنوار ودخلا للغرفة المجاورة، غرقا في صمت عميق في نهاية الفيلم البوليسي. عند شارة نهاية الفيلم أمسك "دين" بيدها.

– نحن لسنا إلا في يوم الأربعاء، لا أعلم إن كنت ساستطيع الانتظار حتى يوم الجمعة.

– أنا ...

– لا تقولي شيئاً، لقد أعطيتك هذه المهلة وأنا أتمسك بها، لكني أريد أن أعرف رأيك في الساعة العاشرة. بعد كاسين من القهوة ستكونين صاحية تماماً لكي تكوني عقلانية.

– أنا دائماً عقلانية.

– ليس قبل أن تشربي قهوة الصباح، أنا أعرفك.

عقدت "إليزابيث" حاجبيها لكنها لم تستطع أن تداري غضبها، ولقد أجبرها على تقبل فكرة أنها ليست ممن يستيقظن مبكرات. في أحد الأيام أعلن لها جدها مازحاً أنه ترك لها ركوة قهوة ممتلئة في غرفتها حتى لا تواجهه عند استيقاظها، أظهرت نفسها وكأنها مدمنة قهوة، لو كانت تملك بندقية لكانت أطلقت النار على جميع العصافير التي تزقزق عند الفجر.

– وإذا أجبتك الآن؟

– أريد جوابي الجمعة الساعة العاشرة تماماً، ليس قبل دقيقة

واحدة، أتعتقدين أن الصبية ناموا؟

– آمل ، فقد تكون صدمة أن يكتشفوا أن أباهم في غرفة امرأة عاشقة.

– عاشقة؟

– لي فقط.

في اللحظة نفسها سمع صوت "كيلي" ينادي أباه ، لمع بريق تردد في عيني "دين".

– سأذهب لأرى ما يريد . سأعود.

بعد عشر دقائق كانت لا تزال تنتظر ، قلقة فقررت الذهاب لترى ما يحدث ، شاهدت "دين" و "كيلي" في غرفة الحمام ، يد الصبي اليمنى وصدره مخدوشين وملتهبين .

– حروق القراص؟

– هز "دين" رأسه بابتسامة حزينة.

– هل تستطيعين أن تبقي معه ريثما أذهب إلى الاستقبال لأرى ما لديهم فحرارته عالية قليلاً .

– يفضل أن أذهب أنا ، ابق أنت معه فهو في حاجة إليك.

أخذت حقيبة يدها من الغرفة وخرجت ، بعد نصف ساعة تمددت في سريرها ، وحيدة ، تنهدت وهي تفكر في سوء الحظ الذي يلاحقهما منذ يومين ، ففي البداية ، المطر والآن القراص ، لقد وافق "دين" مباشرة عندما طلب منه "كيلي" البقاء معه، رافقها حتى الباب بابتسامة عذر وطبع على خدها قبلة طاهرة.

– هل أنت متأكد من أن "كيلي" يستطيع أن يأتي إلى المسير؟

– لقد استرجع قواه "إليزابيث" ، بضع وخزات من القراص ليست بالشيء العظيم ، عليك رؤيته.

– رفع الطفل وجهه المبتسم إليها ، يبدو رابط الجاش تماماً وذراعه كانت مغطاة بالمرهم السميك.

– بعد كل شيء أنت والده.

– نعم ، وأؤكد لك أنه في حال جيدة ، لنخرج أيها الفتيان فينتظرنا مشي طويل.

– أتمنى فقط أن تكون أقل إنهاكاً من رحلة أمس الأول.

– أعرف ما أفعل لأجعلك رابطة الجاش وقبلها بحنان ، فصاح "كيلي".

– قُبل أيضاً . آه يا للعشاق.

احمرت "إليزابيث" وألقت نظرة خاطفة على "آرون" الذي كان يبتسم، انطلقوا فرحين وساروا على درب في الغابة يحاذي سيلاً عريضاً، المشهد كان رائعاً ، الحيوانات المتوحشة موجودة في كل مكان رأوا السناجب والأرانب البرية وزوجاً من الأيائل، كان الدرب منحدراً معظم الوقت فانتبهت "إليزابيث" أن طريق العودة سيكون صعوداً ، لكنها هذه المرة قررت أن تصك على أسنانها وأن تظهر للذكور الأربعة باي خشب ستسخن نفسها ، إنها تنوي أن تلقنهم درساً في السير الحقيقي ، عندما رآها تسبقهم بعشرة أمتار وبخطى ثابتة ، ابتسم ، يوم الجمعة

سيكون رجلاً سعيداً وخاطباً ، حث الخطى مع الفتية ليلحق بتلك التي يحبها ، فجأة تعثرت ووقعت ، شتمت فركض إليها .

– "إليزابيث" هل آذيت نفسك؟

– نفضت ثيابها .

– لا أعتقد، عدا شامتي فقد تلطخت .

– سأهتم بشامتك لاحقاً .

– مد لها يده ليساعدها على الوقوف ، لكنها قطبت حاجبيها وهي تضع قدمها اليسرى على الأرض .

– اجلسي سأفحص لك قدمك .

– نزع عنها الخف بحذر شديد ورفع حاجبيه عندما رأى كاحلها متورماً .

– أعتقد أنها ملوية ، نظر إلى "إليزابيث" التي تعض على شفتها كي لا تبكي .

– هل تعرفين ماذا يعني هذا؟

– أنك ستجهز علي كي توفر عليَّ آلامي .

– لا . هذا يعني أنه يجب عليَّ أن أحملك .

– تأملت "إليزابيث" الصبية الثلاثة المنحنين عليها واحداً واحداً محملقين إلى قدمها ، فأخفت ابتسامة حزينة، سأل "كيفن" مندهشاً:

– هل ستحملها حتى المخيم بابا؟

– إما هذا وإما أن أتركها فريسة للدببة المتوحشة .

– قال هذا بلهجة مأساوية قبل أن يبتسم لـ"آرون" ابتسامة رائعة

– إني أمزح يا عزيزي ، أنت تظن أنني أستطيع أن أترك أمك هكذا؟

– ارتمى "آرون" بين ذراعيه .

– شكراً "دين" شكراً جزيلاً .

عندما وصلوا إلى المنزل كان قد هبط الليل . صرح الدكتور الذي استدعوه أنها تعاني من التواء ليس خطيراً ، وبعد نقاش نجحت في إقناعهم أنها تستطيع القيادة دون خطر في الغد ، عند العودة ، ربط لها قدمها ووصف لها حبوباً لتهدئة الألم . ثم حملها "دين" حتى غرفتها وراء الصبية الثلاثة .

قررت أن تأخذ حماماً بمفردها، أما "دين" فبعد أن اطمأن على الأولاد عاد إلى غرفته وترك الباب مفتوحاً قليلاً في حال ما إذا احتاجت إلى شيء ، لكن هذا كان دون فائدة ، إذ إنه رآها من خلال الباب تجتاز غرفته ، عصابتها في يد والمشط في اليد الأخرى ، لحق بها "دين" وساعدها على الرقاد واضعاً مخدة تحت قدمها المصابة ، ستنام بسرعة دون أحلام تحت تأثير الحبوب المنومة .

عند التاسعة والنصف صباح اليوم التالي ، استيقظت "إليزابيث" بفعل رائحة القهوة التي تفوح في غرفتها ، فتحت عينيها ، رأت "دين" واضعاً لوحاً على الطاولة الصغيرة المركزة

مقابل النافذة ، سحب الستائر فدخلت أشعة الشمس المشرقة إلى الغرفة كان المشهد رائعاً ، جبال ووديان تمتد على مدى النظر، ابتسمت بخجل وتمطت.

– صباح الخير.

– أصبح الوقت متأخراً.

– كم الساعة؟

– لم يبق لديك سوى نصف ساعة . كانت مهمته أخف مما تعرف ، وضع يده في شعرها أخذت الفنجان الممدود إليها.

– أين الصبية؟

– في الحظيرة ، لقد نظمت إدارة المخيم نزهة قصيرة على ظهر الحمار ، سجلت أسماءهم سيعودون في الساعة الحادية عشرة.

– هل أنت مشدود الأعصاب؟

– طبعاً . أجاب وهو يذرع الغرفة جيئة وذهاباً ، كيف لا أكون كذلك؟ بعد هذا الفشل لا أرى امرأة يمكنها الزواج بي في البداية ، خيمتنا تبللت ، ثم كنت ستصابين بذات الرئة في نومك في الشاحنة. "كيلي" أصيب بالحمى بسبب لسعات القراص ، وأخيراً أنت تعرجين !

– أخفت ابتسامتها وراء فنجان القهوة.

– لقد نسيت شيئاً.

– ترقب "دين" وهو قلق.

– ما هو؟

– أنا أحبك.

– رأت بريق السعادة يشع في وجهه وعينيه الخضراوين ، أخذ يدها وجلس قربها .

– أجيبي عن سؤالي.

– هل صارت الساعة العاشرة؟

– لا ، لا يهمني.

– أين هي رومانسيتك التي أثبتها في الجبل؟

– "إليزابيث لانكاستر" ... هل تريدين أن تصبحي زوجتي؟

– تمتمت بنعومة . نعم

(١١)

ألقت "إليزابيث" من وراء المقود نظرة على "آرون" الذي كان يجلس بجانبها .

– هل تحب "دين"؟

– أوه نعم ماما ! إنه لطيف ، لقد وعدني بأن يحتفظ بـ "بوبا" في حمامه ، لقد أعلمها ولدها بوجود السلحفاة قبل خمس دقائق من الآن ، ألقت نظرة على المرآة المتوسطة لتتأكد من أن الشاحنة لا تزال تتبعها.

– آمل أن تشرفني بالتعرف عليها عند عودتنا.

– هل يمكنها أن تعيش معنا؟

– سنرى ، هل تتفاهم جيداً مع "كيفن وكيلي"؟

– نعم.

كان عليها أن تملك كتاباً حول الطريقة المثلى لإعلام الابن عن زواج الأم لكن الوقت يسبقها، لقد أصر "دين" على إطلاع الولدين بالنبأ عند طريق العودة ، كان عليهم أن يتوقفوا من أجل الغداء عند مطعم على حدود "فيرجينيا" . كان عليهم أن يقارنوا بين ردات الفعل.

– لو أتيح لك أن تختار أخاً أتختار "كيفن وكيلي"؟

– أظن نعم.

قطبت "إليزابيث" حاجبيها لدى رؤيتها للوحة الإعلانات ، لا يبعد المطعم سوى ٣ كم.

– وإذا تزوجت من "دين" ، ما رأيك؟

– من أجل هذا تمضيان وقتكما في التقبيل؟

– نعم نوعاً ما ، حاولت جاهدة ألاّ يتدفق الدم إلى وجهها.

– هل سيصبح والدي؟

– زوج أمك ، لكن تستطيع أن تناديه بابا إذا أردت.

– أتعتقدين أنه سيسمح لي أن أناديه بابا؟

سألها وهو ينظر إليها بعينين كبيرتين ساذجتين ، اغرورقت عينا المرأة الشابة بالدموع عندما سلكت طريق الدخول إلى المطعم حيث سيتناولون غداءهم . بعد أن فكت حزام الأمان ضمت ابنها بين ذراعيها وقالت بصوت مرتجف.

– أعتقد أن لاشيء يسعده أكثر من ذلك.

نزل من ورائهما "كيفن وكيلي" من الشاحنة وجاءا بأدب لينزلا "آرون" من السيارة مطلقين أصواتاً مرحة . ركض الثلاثة كالمجانين نحو بائع العصير ، ابتسمت "إليزابيث" ، بحياتهم المشتركة لن تكون سهلة هكذا كما يتخيلها الصبية، لكنها كانت تبدأ بأفضل طريقة ممكنة.

– "إليزابيث" ، مضى أكثر من أسبوع على عودتنا من "فيرجينيا" ولم نحدد موعداً بعد، رفعت عينيها عن قالب الحلوى الذي كانت تزينه.

– نفد صبرك؟

– سحقاً ، نعم ، بالإضافة إلى أنني محبط فمنذ عودتنا نعمل أربع عشرة ساعة يومياً كل على حدة ولم نعد نرى

بعضنا.

تذكر "دين" الأطفال الذين كانوا يشاهدون التلفزيون في غرفة الجلوس.

– يجب أن نتكلم ، هل ستتأخرين في صنع الحلوى؟

– حوالي الساعتين، لماذا؟

– على أن أعود ، حان وقت نوم الأطفال ، ما رأيك أن تلاقيني في منتصف الليل وراء أريكة الزهور للقيام بنزهة؟

– نزهة؟

– ابتسم "دين" ابتسامة غامضة وكرر وهو يترك المطبخ ليبحث عن ولديه.

– لا قيني هناك حوالي منتصف الليل.

عند الساعة المتفق عليها ، انسلت "إليزابيث" في ظلام الحديقة ولاحظت شكلاً ممدداً على غطاء.

– "دين"؟

– نعم . أردف مازحاً ربما تنتظرين شخصاً آخر؟

– دون أضواء؟

– لا لسنا بحاجة إليها . بالإضافة إلى أنها تجلب الانتباه.

دعاها للجلوس ، وتابع ، موقعنا مثالي ، من هنا نستطيع سماع "آرون" إذا نادى أما بشيني فإني أرى بيتي من هنا.

تكورت بجانبه وأغمضت عينيها لتستمتع بالنسيم الليلي العليل ، كانت الزهور من جوعها متفتحة بالكاد وقد زين المبنى الصغير المقبب في الحديقة بساعة شمسية قديمة برنزية ، لا

يسمح الليل الحالك دون قمر بالتمييز كثيراً ، لكن "إليزابيث" كانت تعرف المكان عن ظهر قلب، فطالما جلست هناك وقت وحدتها . رأسها على كتف رفيقها .

– ستصلح الحديقة؟

– لا . سنصلحها معاً . فهي تفضي إلى منزلك أيضاً، هل نسيت؟

– كيف تريدني أن أنسى؟ فأنت تذكرني كل يوم إلى أي نوع من الزواج تتطلع؟

– إلى زواج سريع.

– "دين"!

– حسناً . حددي لي أنواع الزواج وسأعطيك رأيي.

– زواج في محكمة البلدية.

– موضوعي أكثر من اللازم.

– سفر إلى لاس فيجاس

– مبهرج كثيراً.

– ما رأيك باحتفال ديني؟

– حميمي أو في شكل اجتماعي؟

– حميمي ، بصوت حالم.

– هذا ما ترغبين؟

– هناك حل آخر ، لماذا لا تنظم حفلاً في الحديقة؟

بدأ "دين" يفهم إلام ترمي.

– في هذه القبة مثلاً؟

أدارت وجهها نحوه وعيناها تشعان سعادة ، لقد فهم قصدها.

– نعم هل تتزوجني هنا في هذه الحديقة؟

– لو طلبت مني أن أنظم حفلاً على القمر، أنا متأكد من أنني سأذهب لإقناع رجال "ناسا" أن يؤجروني الكوكب الخاص.

– أحبك "دين".

– وأنا أيضاً ، لكن الساعة الآن للحديث وليس للعواطف ، حسناً ، حُدّد مكان الزفاف وبقي أن نحدد التاريخ.

أغمضت عينيها لتتخيل القبة مرممة بالكامل بأزهارها المتفتحة تحت أشعة الشمس في وقت بعد الظهيرة ، "دين" مرتدياً الأبيض ينتظرها مع الكاهن بالقرب من المزولة التي كانت قد عاشت تألقها في الزمن الغابر ، ستتقدم وهي تصعد الرواق الضيق القرميدي ، وهي ترتدي فستاناً أصفر شاحباً يوحي بضوء الصباح ، والأطفال الثلاثة الصغار سيكونون رائعين في زيهم الرمادي الفاتح.

– أيار (مايو) أو حزيران (يونيو) ، سيكون رائعاً.

– قفز "دين".

– العام المقبل؟

– نعم باعتبار أننا في تموز (يوليو) .

– غير وارد ، أظن أنك لم تفهمي ، أريد زواجاً سريعاً ، أفكر في شهر آب (أغسطس).

– لكن .... إنه الشهر القادم !

– أعرف . أظن أنه من الأفضل أن نتزوج قبل أن يبدأ الأطفال في الذهاب إلى المدرسة.

– معك حق فسيكون هذا معقداً.

عملياً كانت تضع إشارة ضرب على فكرة الزواج في حديقة مزهرة فلن يكون هناك وقت لترميمها انتبه "دين" إلى لهجة خيبة الأمل التي يرنّ بها صوتها.

– وعدتك بالزواج في هذه الحديقة وسيكون لك ذلك ، سأرى مصمم لوحات طبيعية وأرى ما يمكنني عمله

– هذا سيكلف كثيراً.

– ليس عليك سوى أن تعتبري هذا هدية الزواج.

– حديقة بكاملها؟

– نعم وأنت من سيقابل المصمم ، فأنا عاجز عن تمييز "البيتونيا" عن "المرجرين".

– لم أقدم لك الطعام بعد.

– هل أحضرت حقاً لوازم النزهة؟

أجلسها وأمسك من ورائه مثلجة معبأة بالعصير ، ثم التقط كيس شيبس أعطاه لـ "إليزابيث" ، تناولت عدة قطع وهي تفكر، لابد أن لديه ما يقوله أيضاً . انتظرت، لم تستطع الانتظار أكثر من ذلك.

– هل يزعجك أن تسكني في بيتي؟

– بالطبع لا ... لماذا؟

– أريد أن أتأكد . فيبدو أنك متعلقة بسرداب حديقتك وأريد أن أعرف إذا كان هذا لن يسبب لك إشكالاً . حددي لي شيئاً ترغبين في تغييره.

– يجب أن تبقي السلحفاة "بوبا" خارج الحمام.

– وكأنه حادث.

– بما أن الحديث قد أخذ منحنى جدياً ، فقد قررت "إليزابيث" أن تطرح الأسئلة بدورها.

– ألا تعتقد أنه عليك تقديمي لأهلك قبل الزواج؟

– سيكون هذا منطقياً لكن بالقياس إلى أنهم استقروا في إيداهو، فلن يكون هناك معنى لجلبهم مرتين خلال وقت قصير . إذ إنهم سيكونون موجودين يوم الزواج بالتأكيد . لا تقلقي أنا متأكد من أنهم سيحبونك كثيراً أنت و"آرون" .

– فكرت في أنه يعرف والديه كثيراً حتى يستطيع أن يحكم على رأيهما.

– هل هناك شيء آخر تريدين الحديث عنه؟

مشكلة أخرى كانت في ذهن "دين" ، مهنة "إليزابيث" إذ كيف سيعيشان حياة زوجية طبيعية إذا كانت ستمضي أمام الفرن ساعات طويلة من الليل عدة مرات في الأسبوع ؟ كان يتمنى في داخله أن تترك عملها ، لكنه لم يجرؤ أن يطلب منها ذلك.

– وأنت؟

– هناك خوف من ألا ينسجم "روفو" مع قطتي ، كيف

سيسكنان تحت سقف واحد؟

– سيتسامحان . فالحيوانات محرومة من حس الإدراك.

أجال "دين" نظره في الحديقة المظلمة ، تثاءبت "إليزابيث" فقد تجاوزت الساعة الواحدة والصباح يتقدم بخطى حثيثة. لقد أثارا عدة نقاط مهمة ويفضل أن يتركا الباقي لوقت آخر.

تناولُ موضوع تربية الأطفال، فما رأيها في أن تنجب طفلاً آخر؟. "ملذات ليز" هي العقبة الوحيدة. لقد شعر بشيء من تأنيب الضمير بأنه كان مذنباً حين منع زوجته الأولى من مزاولة الحياة منحته فرصة ثانية قرر ألاّ يجعلها تفلت من يديه. من البديهي أن "إليزابيث" تحب مهنتها ، عليه أن يفعل ما بوسعه لكي يجعل هذه المهنة الصغيرة تزدهر . نهض وساعد المرأة الشابة على النهوض.

– أنت تنعسين - تعالي سأرافقك.

– "إليزابيث" هل تستطيعين القدوم عندي . إني مع "دان كرامر" ، تعرفين أني مع المصمم الذي كلمتك عنه.

– حسناً أمهلني عشر دقائق ، سآتي.

– عند إغلاقها الهاتف لم تستطع منع نفسها من الإعجاب بعزيمة "دين" لم يعتد أبداً أن يترك التزاماته في الهواء.

– خرجت وشاهدت "دين" برفقة المصمم في الحديقة ، ابتسم عند رؤيته لها وهي تقترب.

– "دان" ، أحب أن أعرفك على "إليزابيث لانكاستر" خطيبتي.

– تشرفنا آنستي.

– نادني "إليزابيث"

– سبق وشرحت لـ "دان" أن لديك حرية التصرف في الأعمال ، أنا لديَّ عمل، لذلك عليّ العودة . أحب أن تعرض عليها المشاريع بخطوط واسعة ، هكذا سيكون لدينا لمحة تمهيدية ، بعد أن طبع قبلة على خدها ، ابتعد ثم توقف واستدار نحو المصمم.

– هناك شئ آخر "دان" يجب أن تنتهي الأعمال عند العطلة الأسبوعية في آب (أغسطس) . زواجنا سيكون في الحديقة.

– برقت عينا المصمم رهبة فاستدار نحو المرأة الشابة .

– هل يمزح؟

– أخشى أنه ليس كذلك.

شرحت له مشروعها بحماس مما استحوذ على عقل الرجل الشاب، بعد اقتراحهما بساعتين كان قد قرر قبول التحدي ، اتفقا على أن يمر في الغد مساء ليقدم لهما مشروعه المبدئي.

ذهبت "إليزابيث" إلى بيت المستقبل ، كان مكتب "دين" مقفلاً ، دعت الصبية للذهاب إلى المسبح.

بينما كانت تضع صينية زلابية في الفرن ، شعرت بيدين تطوقانها . استدارت لترى "دين" .

– رائحتك طيبة.

– إنها خلاصة البرتقال

– أين الأطفال؟

– يلعبون في غرفة "آرون" .

– هل تعتقدين أن ابنك سيوافق على النوم في منزلي هذا المساء؟

– بالتأكيد ، لكن أنا لا أستطيع القدوم.

– لماذا؟

– غداً ، عيد ميلاد "بيتسي لو سميث" .

– ما العلاقة؟

– عليَّ تسليم ثلاث دزينات من الفطائر الفريز وقالب حلوى البرتقال وفطيرتي قشدة اللوز قبل العاشرة صباحاً، دائماً أمسيات يوم الجمعة مشغولة.

أدار "دين" وجهه ليخبئ غضبه المفاجئ ، كان يتحرق رغبة في أن يقول لها لتذهب "بيتس لو سميث" إلى الجحيم ، لكن عقله نبهه إلى أن هذه هي مهنتها ، فهي لم تزعجه أبداً حين كان يعمل.

– يستطيع "آرون" أن يأتي ، ستكونين في هدوء أكثر.

– حسناً . إذا كان هذا لا يسبب لك أية مشكلة.

– سيكون عندي بعد خمسة أسابيع ، علي أن أعود . حسناً سأبحث عن الصبية .

في حوالي الواحدة صباحاً . قرر دين" الذهاب إلى النوم ، لقد شاهد التليفزيون حتى العاشرة مع الصبية ، ثم وضعهم في أسرتهم ونزل ليعبئ الغسالة وبعدها مسح المطبخ ورتب الصالون قبل الذهاب إلى النوم. ألقى نظرة على كل غرفة من الفيلا وزفر

بتنهيدة ، فمنزله أكبر كثيراً من اللازم . غرفة الطعام والصالون فارغتان تقريباً ، لم يكن لديه الوقت لتأثيثهما. في الطابق الأعلى بقيت غرفتان شاغرتان، أما بالنسبة للعليا ، فلم يطأها منذ وصوله. كانت تغطي الأثاث طبقة سميكة من الغبار ، غرف الحمام بحاجة للتنظيف ، تولد لديه انطباع مفاجئ بأن أربعا وعشرين ساعة لن تكون كافية لجعل هذا المسكن قابلاً للمعيشة، كيف ستدبر "إليزابيث" نفسها؟ تأمل من النافذة سردابها ، إنه دوماً في منتهى الأناقة. عليهما أن يتقاسما المسؤوليات. بعد أن أقفل غرفته ، قطب حاجبيه لدى رؤيته سريعا الضوء الذي ينبعث من مطبخ خطيبته ، خلد للنوم ووضع قائمة لنشاطاته في الغد .

أولاً : يجب تنظيف غرف الحمامات وأن يطلب من الصبية تنفيض الغبار عن الأثاث، وتمرير المكنسة في جميع الأماكن ، ثم سينكفئ خمس أو ست ساعات في مكتبه ليعمل، في السهرة، سيرافق هو وولداه "إليزابيث" و"آرون" كعادتها إلى محل البيتزا "ماريو". صباح الأحد يتوجب عليه بناء علبة جديدة لـ "بوبا" .

بعد ستة أيام رأى "دين" من خلال نافذته "إليزابيث" التي كانت تضحك في الحديقة مع "دان كرامر" ، الأرض حولهما مكشوفة ، كانت ترتدي صداراً بنفسجيا وبنطلوناً قصيراً لونه كاكي . منذ وصول البشينيين ، الاثنين الماضي منذ ستة أيام ، لم يحدث أن تكلما وجهاً لوجه ، كانت تستقبل فريق العمل

كل صباح وتوجه مع "دان" خطة مشروع النشاطات اليومي ، حوالي الساعة العاشرة تخرج للتسليم غالباً مع الصبية ، بعد الظهر تصحبهم إلى المسبح ، ثم يأتي موعد العشاء ، بعده تنكفئ في مطبخها تحضر الحلوى حتى ساعة متأخرة من الليل.

شعر بنوبة حرمان حين رأى المرأة الشابة تندفع مبتسمة نحو الشاحنة الصغيرة التي كانت تحمل المزولة المرممة بالكامل ، الدموع في عينيها ، مررت يدها على اللوح البرنزي الذي كان يلمع من كل الاتجاهات ، متأخرة على الرقم "١١" ، بعد ثمانية عشر يوماً ، عندما تكون الساعة الحادية عشرة ستكون هي "إليزابيث ماكنزي" .

انتبهت لوجود "دين" وراءها ، ارتمت بين ذراعيه غير عابئة بتصفير البستانيين. لاحظ "دين" وهو جالس على الطاولة الهالة السوداء التي تحيط بعيني "إليزابيث" الكبيرتين.

– هل أنت متعبة؟

– نعم ، لكن ستتحسن الأمور بعد ثلاثة أسابيع ونصف الأسبوع.

سأل نفسه بقلق إن كانت ستصمد ، ففي ذاك المساء كان قد دعاها و "آرون" إلى العشاء ، لقد أخذت جرعة قهوة كبيرة ، قالت بلهجة متعبة.

– لا تنس أن لديك موعداً مع الخياط غداً ، أنت والصبية ليأخذ كل المقاسات.

– لا تقلقي، هل هناك شيء يمكنني أن أساعدك فيه؟

– لا . كل شيء جيد، لقد أرسلت الدعوات وأوصيت صاحب المطعم ، ستنتهي الأعمال في وقتها بالتأكيد .

– أعتقد أنه يجب استئجار طاولات وكراسي .

– لقد تم ذلك .

– والكاهن؟

– اهتممت بأمره؟

– أحب أن أساعدك "إليزابيث" .

– هل تستطيع أن ترعى "آرون" غداً بعد الظهر .

– طبعاً . ستخرجين؟

– نعم يجب أن أبحث عن فستان .

– نهضت لتخلي الطاولة .

– دعي عنك ذلك، أستطيع أن أهتم به جيداً .

– جلست متفاجئة ، لاحظت ارتباكه ، أمسك يدها .

– ما رأيك في إنجاب طفل؟

نظرت إليه بتركيز ، هل هو جاد؟

– فتاة صغيرة ستتمم اللوحة .

– سمراء بعيون سوداء؟

ابتسمت .

– لا ، صهباء بعيون خضراء .

نهض وأمسك بذراعيها ، أغمضت عينيها وسبحت بخيالاتها ، فبينما يعمل "دين" ستهتم هي بالأطفال وبتحضير حلوى لذيذة للمرة الأولى في حياتها، ستكون في الوقت نفسه

أماً وزوجة، لن تكون بحاجة لتمضية الليالي ساهرة قرب الفرن لتصنع الحلوى للآخرين ، سيكون لها زوج وثلاثة صبية ومنزل كبير لإدارته .

*****

www.rewity.com
مـــروريـــة

(١٢)

عبس "دين" وهو يتامل كومة الغسيل الوسخ الذي تكوم في الممر، لقد أمضى لتوه ساعتين في ترتيب غرفة الصبية الذين تركوا ملابسهم في كل مكان ، حملها بكلتا يديه ونزل إلى القبو تاركاً ولديه يستعملان المكنسة الكهربائية يرتبان العابهما ، كان قد أمضى ساعات طويلة ومنذ أسبوعين في إزالة نسيج العنكبوت وغسيل البلاط ومسح الأرضية . بتنهيدة عميقة كان قد تيقن أنه بقي له الكثير، كان لديه انطباع بانه ترك نفسه في مجرى الأعمال اليومية التي لانهاية لها ، وضع حمله في قمة سلة الغسيل الممتلئة عن آخرها، تامل نشافة الغسيل الجديدة التي اشتراها لتوه وصعد الدرج . جر قدميه جراً في غرفته، أنهى "كيفن" عمله على المكنسة الكهربائية.

– هيه ، بابا ، ألا تظن أنه يفضل أن نستخدم خادمة؟

– خادمة ! لماذا لم يفكر مسبقاً في ذلك؟ فهكذا سوف تكرس "إليزابيث" نفسها لعملها دون الاهتمام بالأعمال الشاقة المنزلية غير المأجورة لغسيل العربات أو مسح الممرات والأرضية ، أعجب بفكرة "كيفن" وانفجر ضاحكاً ، تامل الطفل أباه قليلاً.

– بابا، أنت غريب فعلاً منذ أن قررت الزواج من "إليزابيث" ، ألا ترى ذلك؟

أغلقت "إليزابيث" السماعة والابتسامة تعلو وجهها ، لقد رفضت طلب توصية قالب حلوى للغد ، شطبت بقلم أحمر

على مربع آخر من "الروزنامة" الحائطية . خلال تسعة أيام ستصبح السيدة "ماكنزي".

اشتاقت لـ "دين" فهي لم تره منذ عشاء أمس وبعده اضطرت إلى أن تعود إلى مطبخها لصنع الزلابية ، نادت ابنها :

– نعم ماما

– سأذهب قليلاً عند "دين" ، هل تأتي معي؟

– وكيف إذن؟

ما إن دخلت إلى الفيلا الكبيرة ، انسلت على أصابعها إلى مكتب رفيقها ودخلته دون إحداث ضجة ، كانت الستائر منسدلة ، كان جالساً على طاولة الرسم مديراً ظهره ، و ضعت يديها على عينيه.

– حزر من أنا ؟

– استدار "دين" وأجلسها على ركبتيه.

– كنت أفكر فيك الآن.

– هذا ليس صحيحاً . كنت تعمل ، لقد راقبتك ، لم تفكر فيَّ لحظة منذ البارحة مساء.

– أفكر فيك ليل نهار ، أفكر فيك وأنا نائم وأنا أستحم ، وأنا أعمل، وأنت هل تفكرين فيَّ؟

– نعم...

– كيف؟

نهضت بخمول وابتسمت.

– أحلم بك كل الليالي .

– كيف؟

– سأقول لك لاحقاً . هل يستطيع "آرون" النوم هنا هذه الليلة؟

– نعم.

– لحسن الحظ! أعتقد أني لن أتماسك طويلاً، ثم أردفت ، سأبحث عن شراب منعش ، يبدو لي أنك تحتاجه أنت أيضاً.

– عادت بصينية ، تأملت الرسم الموضوع على لوح "دين" .

– إنه عملي الأخير قبل الزواج ، قال ذلك بعد أن جرع جرعة من العصير ، ثم لديَّ مشروعان ضخمان إذا ... وجدت "إليزابيث" حلاً لمشكلتنا ، وضع الكأس من يده ، هيئته الحافزة جعلت المرأة الشابة تبتسم.

– أية مشكلة ؟

– كيفية استعمال الوقت وخاصة وقتك. عندما نتزوج لا تستطيعين الاستمرار في صنع الحلوى حتى الثانية أو الثالثة صباحاً ، لدي مشاريع أخرى لك.

– سمعت "إليزابيث" البقية صامتة دون أن تقول شيئاً.

– أعتقد أن الوقت قد حان لتصبح "ملذات ليز" مشروعاً حقيقياً، ما رأيك بفتح محل لصناعة الحلوى؟

– كلا وأوقعت الكأس من يدها.

– يفاجأ "دين" بردة فعلها الذاهلة .

– أعلم أنها خطوة كبيرة لكني أثق بك ، بالإضافة إلى أن هذا سيسمح لك بتمضية أمسياتك في العائلة ، وهذا ليس كل

شيء.

– هنا .... هناك شيء آخر؟

– نعم ، بما أنك ستمضين معظم وقتك في المحل ، ما رأيك بأن نستعين بخادمة للاهتمام بالمنزل؟ دون أن تقول كلمة ، ذهبت إلى النافذة ورفعت الستائر وأجالت بنظرها إلى المدخل القرميدي الذي يفضي إلى حديقة أحلامها في قلب القبة المرممة، هناك خمسة رجال كانوا يضعون المزولة في وضعها الأصلي، كل شيء جاهز للزواج.

ربما وضع "دين" المالي يتطلب منها أن تعمل، ألم يبالغ "دين" في ترميم الحديقة؟ إذا كان الأمر ملحاً ستبيع سردابها .

– هل أستطيع أن أطرح عليك سؤالاً؟

– شعر "دين" بأن هناك شيئاً غير حسن ، وضع يده بعصبية في شعره.

– بالطبع.

– هل أنت بحاجة للنقود؟

– نقود؟

– هل أنت بحاجة لأن أعمل ؟ تعلم أن هذا ليس مشيناً في أيامنا هذه ... هذا شائع .

– لا لست بحاجة إليها . لست غنياً ، لكن لديَّ ما يكفي لنعيش حياة مريحة استدارت نحوه وعيناها مغرورقتان بالدموع.

– في هذه الحال ، لماذا ترميني إذا صح التعبير ، في الشارع؟ لماذا تريد أن تجلب امرأة مجهولة لتعتني ببيتي؟

نهض ومشى نحوها لكنه توقف لدى رؤيته لشعلة السخط في نظرتها ، تدحرجت دمعة كبيرة على خدها .

– أنا ... أنا آسف "إليزابيث" لم أرد أن أحبسك في المنزل مع الأطفال ، كنت أعتقد أنك ستكونين أكثر سعادة في الاستمرار في عملك .

– كيف تمكنت من التفكير في شيء كهذا؟

– اجتازت الغرفة وهي تنتحب ، أحس "دين" أنه فقد توازنه فقال دون تفكير:

– لم تحتمل "راشيل" الحياة في المنزل .

– تمايلت "إليزابيث" وكأنها تلقت صفعة ، استندت على طرف الباب وصرخت بصوت عال .

– لست "راشيل" ، أعتقد أنه علينا إلغاء هذا الزواج .

– لكن .... لماذا؟

– لا أعتقد أننا تفاهمنا جيداً "دين" . كانت قد خرجت قبل أن يتسنى له الوقت ليحتج، مر كل شيء بسرعة .

رش "دين" على نفسه ماءً بارداً وتأمل الرجل الذي قبالته في المرآة، لقد أمضى ليلة ليلاء وهو يضع اللمسات الأخيرة على مشروع الأثاث الذي تكلفه ، أخذ حماماً بارداً وحلق ذقنه ،كان في طريقه لوضع بعض الثياب في الحقيبة حين دخل ولداه الغرفة .

– أين أنت ذاهب يا بابا؟

– اجلسا أريد أن أكلمكما ، حسناً، ارتكبت هفوة ،

تشاجرت مع "إليزابيث" البارحة .

– من أجل هذا لم تأت للعشاء مع "آرون"؟

– تماماً ، إذن مازلتما راغبين في أن تصبح زوجة والدكما، عليكما أن تمدا لي يد المساعدة .

– قبل أن يتبادلا النظرات ، وافق الصبيان مبتسمين.

– حسناً بابا .

– في بعض الأحيان حين يتشاجر الكبار ، كلمة اعتذار لا تكفي فهذا يتطلب وقتاً ، علينا أن نتكلم وهنا لم أنجح أن أتكلم بهدوء مع "إليزابيث" إنها مشوشة طوال الوقت ، لذا فقد قررت اصطحابها إلى الكوخ لوضع النقط على الحروف .

– "آرون" سيذهب أيضاً؟

– لا . من أجل هذا أنا بحاجة لمساعدتكما، سيأتي العم "شين" للاهتمام بكما حتى يصل جداكما من "إيداهو" ، لقد طلبتهما البارحة مساء على الهاتف . ليست هناك طائرة شاغرة قبل السبت ، عليكما أن تكونا لطيفين مع "آرون" .

– لكن بابا ، من أجل العم "شين" كنت تقول إنه...

– أعلم "كيفن" ، إنها حالة طارئة ، إذن أنتما موافقان لمساعدتي؟

– وافق الاثنان بالإجماع.

– هيا جهزا نفسيكما . لن يتأخر العم "شين" . على أن أهتم بالشاحنة .

– كان يضع الحقيبة الأخيرة في صندوق عربته عندما

وصلت سيارة "شين" .

– مرحباً أخي الكبير ! يقال إنك هذه المرة عرفت أين تضع قدميك.

– شكراً لمجيئك "شين" .

– هل أنت بحاجة لنصائح؟

– لا ، اذهب وألق التحية على ولدي أخيك.

بينما كان يغلق الصندوق ، خرج "شين" وهو يضحك نحو الفيلا كل شيء جاهز لا ينقص إلا "إليزابيث" وأغراضها.

بعد خمس دقائق خرج "كيفن" راكضاً ليعلن لـ "آرون" أن "بوبا" مريضة، عندما دخل الأخير إلى بيتهم ، اعتذر "دين" بأنه قد نصب له فخاً وفسر له أنه يريد محادثته.

– "آرون" . دعني أقدم لك أخي "شين" . عندما نتزوج أنا وأمك في العطلة القادمة سيصبح هو عمك.

– مرحباً "آرون" .

– رائع لم يسبق أن كان لديَّ عمّ . مد يده لـ "شين" مبتسماً.

– دون مزاح ، لم تصب بخيبة أمل يا صغيري ، سأبقى هنا قليلاً، ما عليك سوى أن تطلب من "كيفن وكيلي" .

– وافق الاثنان بحماس.

– آرون ، أمك في المنزل؟

– نعم . في المطبخ ، لكن لا أدري ما بها فهي لم تتفوه بكلمة طوال اليوم.

– ما رأيك أن تمضي بضعة أيام مع "كيفن وكيلي" وعمك الجديد؟ أحب أن أصطحب أمك إلى المخيم لنتناقش . إذا كانت حزينة فذلك بسببي . عليّ أن أصلح الموقف القلق الذي كان مسيطراً ليحل محله الفرح.

– هذا يناسبني.

– بعد أن صف شاحنته أمام الكوخ التفت إلى رفيقته.

– ألن تقولي شيئاً؟

أدارت "إليزابيث" نظرها نحو الكوخ ، كان المكان فاتناً ، عند هذه النقطة بالذات لم يكن قد كذب عليها . لم تكف عن صك أسنانها منذ انطلاقهما.

– الآن تستطيعين الصراخ عليَّ إذا أردت ، فلن يسمعنا أحد.

– هل تعتقد أنه يزعجني أن يسمعنا أحد؟

– انظري . . . كنت أظن أنك قد نسيت الكلام.

حلت حزام الأمان ونزلت من الشاحنة ، فعل "دين" الشيء ذاته وانضم إليها .

– لماذا تريد أن أكلمك بعدما فعلت بي ما فعلت؟

– ماذا فعلت؟

– لقد خطفتني ! دخلت بيتي دون أن تطرق الباب ، وضعتني على كتفك ووضعت أغراضي في الحقيبة وحبستني في سيارتك ! وكل هذا تحت ضحك ولدي علي، لقد تآمرت عليَّ .

– لم أكن لأعاملك هكذا لو كنت عقلانية.

– لقد قلت لك إنه عليَّ تسليم قالب الحلوى إلى السيدة "روز بلوم" بعد ظهر هذا اليوم.

– رشح "شين" نفسه طواعية، هو الذي سيهتم بالصبية إلى حين وصول أهلي السبت مساءً.

– سيصل والداك؟

– نعم. الأخبار أحزنتهما، رغم أنهما علما أنني أنا من خرب الأمور، إلا أنهما قد أصرا على القدوم لتعزيتي.

– تنهدت وجلست على أول درجة خشبية.

– أنا من خرب كل شيء.

– كيف ذلك؟

– قد رتبت كل شيء في رأسي، كل شيء مخطط، سنشتري سيارة جديدة كل أربع سنوات، سندخل الأطفال في أحسن مدارس، سنمضي عطلاتنا كل صيف كلاً في ولاية مختلفة وهكذا... عندما أشرت إلى المخزن والخادمة، ذعرت، فأحلامك لم تلائم أحلامي بكل بساطة.

– بلى تناسبها تماماً، ساعديني على تفريغ الحمولة، سأشرح لك كل شيء.

– أترغب حقاً في البقاء؟

– حتى مساء الأحد أو أكثر إذا لزم.

– والأطفال؟

– ألا تعتقدين أني تركتهم يلاقون مصيرهم بمفردهم، أليس

كذلك؟

– لا.

بينما كان "دين" يشغل المولد، فتحت هي المصراع لتهوي الكوخ، الداخل كان بسيطاً ومريحاً، كان يتألف من غرفتين صغيرتين وحمام وزاوية مطبخ.

– لمن هذا الكوخ؟

– لي، أقصد لنا، لقد اشتريته السنة الماضية، يحب الأطفال المجيء إلى هنا كثيراً، أنا متأكد من أنه سيعجب "آرون" أيضاً.

– افترض أنه كان علي اجتياز امتحاني الأخير هنا، أليس كذلك؟

– نعم. كنت سأعرض عليك تمضية عطلة الأسبوع هنا لكن لم تتركي لي الوقت، ارتدي الجينز، سأريك شيئاً.

– تغيرت فجأة، تبعته بين أشجار الصنوبر التي تملأ المنطقة، عند منعطف سكة دغل. اكتشفت سهلاً يحاذي شاطئاً صغيراً من الرمل الرمادي، خالياً تماماً إلى الأسفل، هناك شلال يسقط ويرتطم بالصخور، مد "دين" غطاء قديماً على الرمل.

– يجب الاستفادة من الشمس، يتوقع أن تمطر غداً أو الأحد.

جلسا جنباً إلى جنب بعد أن تأملا طويلاً الغيوم المتراكضة في السماء الزرقاء، استدارت نحو "دين".

– حدثني عن "راشيل".

روى لها كيف أن زوجته الأولى قد اضطرت للتضحية بمهنتها كي تربي الولدين .

– إنها غلطتي ، كان عليَ ان أصغي إليها ، عندما بدأت بالاحتجاج ، لقد سلكت سلوكاً أنانياً حقاً . بسببي أنا عدلت هي عن أحلامها ، بالطبع كانت تعبد ولدينا ، لكنها كانت ترغب في شيء آخر أيضاً .

– واعتقدت أنه أنا أيضاً قد رغبت في شيء آخر .

– نعم ، فانت تحبين ما تفعلينه ، هذا واضح ، هل تريدين الاستمرار؟

– ليس مهنياً ، أعشق صنع الحلوى ، سأستمر في صنع الحلوى لكن لن أعتبر هذه المهنة بالنسبة إلى "ملذات ليز" كانت وسيلة لكسب عيشي وأنا في بيتي أعتني بولدي .

– سأساعدك في المنزل .

– وهو يداعب خدها .

– هل عليَّ أن افهم أنك قد عدلت عن الاستعانة بخادمة؟

– لن تاتي سوى مرة في الأسبوع .

وكانا سعيدين حقًا .

تمّت بعون الله